حرف الباء

«البلاد»:

ولقد كانت تبدأ بعريش أو دور يبنيه الفلاح في بستأنه لكي يرتاح فيه من أتعابه في الأمسيات أو ليستظل به عند الظهيرة أو ليدخر فيه بعض أدواته ومحصولاته فلا يلبث أن ينقلب بيتًا يسكنه ومأوى يلجأ إليه فإذا كان المكان قريبًا من الماء وكانت الأرض صالحة للزراعة تلاحق به الآخرون وتكونت بهم البلدة أو القرية ثم تصبح مدينة كبيرة خصوصًا إذا قام بها سوق عظيم يجتمع فيه الناس من كل صوب.

ولكن الهجرات التي تعقب الحروب المتتالية من حين لآخر أو المجاعة أو الأوبئة الفتاكة أو الأسباب الأخرى تجعل د وام هذه البلاد في أمكنتها غير ميسور.

وأكثر بلاد نيجيريا الحاضر ة إنما قامت مرتين أو ثلاث مرات على أنقاض سابقتها المندرسة وقبل مدينة مَيْدُغري الحاضرة كانت هناك مد ينة كَانِمْ وكُوكاوه وهكذا دواليك.

وأقدم بلاد نيجيريا عمرًا هي التي يرجع تأسيسها إلى نحو ألفي سنة من اليوم كمد ينةَ دوراه التي نزح منها عد ة بطون من الهوسا، وكمدينة كتشنه وكانو في الأقليم الشمالي أو كمدينة عويو وبينن وإَليفَى في الأقليم الغربي وكانت تحاط تلك المدن بالأسوار الضخمة المرتفعة تحصنًا بها من غارات العدو.

هذا و قد نويت أن لا أغادر صغيرة ولا كبيرة من قرى نيجيريا وبلادها العامرة اليوم إلا ذكرتها في هذا الكتاب ثم رجعت عن هذه النية خشية الإطالة والتأخير وصعوبة الأستيعاب فاكتفيت بذكر البلاد التي لها في التاريخ شأن يذكر إن في الدين أو في العلم أو في الاقتصاد أو في السياسة فأقول مبتدئا بمدينة :

«إبَادَن»:

وهو اسم أطلقوه على المدينة التي صارت اليوم قاعدة الأقليم الغربي من أقاليم نيجيريا وهي أكبر بلاد غرب أفريقيا وأكثرها سكانًا، فيها كلية جامعية تأسست سنة ١٩٤٨م وهي ربيبة جامعة لندن الشهيرة. وقد كانت مدينة إبادن بالقرن الماضي مركزًا هامًا للتعليم العربي يقصده الطلاب من كافة بلاد يوربا وهي تنزل الدرجة الثانية من مدينة إلورن وكانوا يتخصصون في الفقه المالكي.

«تأسيس المدينة»:

ويرجع تأسيس هذه المدينة إلى نحو ١٧٨٨م وقد زعموا أن مؤسسها رجل من إَليفَى ويسمى لَغَيلُو اتخذ هذا المكان موطنًا له ثم لحق به بعض الأوباش المشردين من البلاد المجاورة، وكانت حينذاك تابعة لمدينة أبيكوتا القديمة ثم وقعت حروب دامية بينها وبين عويو وانتهت بتخريب إبادن وتشتيت أهلها ثم أعادوا تأسيسها سنة ١٨١٠م بالقرب من المكان الأول وأخذت في التقدم والأزدهار منذ أن آوى إليها المحاربون من بلاد إجيبو وإيفى على أثر عودتهم من محاربة مدينة أُووُو.

وقد تعسكر هؤلاء المحاربون بها على قصد تأليف عصابة تقوم بشن الغارات على القرى المجاورة ولم تلبث أن صارت مدينة ذات حكومة معترف بها بين الحكومات المجاورة. وكانت حكومتهم شبه نظام ديموقراطي انتخابي جمهوري تحت رئيس يحمل لقب بَالى الذي لا يدوم على كرسي الرئاسة أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يعزلوه أو يغتالوه لينفسح المجال للآخرين.

وقد كانت تابعة لمدينة عويو كسائر بلاد يوربا رد حًا من الزمان ثم انفصلت عنها كما انفصل غيرها وعمل زعماؤها في انهاضها وتقدمها في مدارج الرقي حتى أصبحت قاعدة الأقليم الغربي ومن الذين عملوا لرفعة شأنها في القرن الماضي هو الوالي عثمان بشورن الذي أوفد إليها جلة العلماء من بلاد هوسا وأنفق على نشر التعليم العربي من جيبه الخاص ثم حذا حذوه بالى شئث ثم عباس أولوبَدنَ وكلهم مسلمون مخلصون شيدوا المساجد ونوهوا بفضل العلم والعلماء.

ومن العلماء الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم العربي وبث الدعوة الإسلامية في إبادن[1]:

الشيخ عثمان الدندي الذي تولى الأمامة فيها سنة ١٨٣٩م ثم الشيخ أبو بكر بن صاحب الكرسي الذي قتل ظلمًا في طريق الحج ثم الأمام هارون ابن سلطان الذي يدعى بالشيخ الأكبر لأهل أبادن وكانت وفاته ١٩٣٥م.

وهؤلاء الذين تعاونوا مع أولئك الرؤساء في توطيد دعائم الإسلام

(١) من مذكرات الشيخ أحمد الرفاعي مفتي مدينة إبادن.

وإرساء رواسي العلم العربي في مدينة ابادن وما جاورها من بلاد يوربا واستقدموا المرشدين والمدرسين إلى إبادن من إلورن وغيرها من بلاد هوسا.

«أبيكوتا»:

اسم المدينة التي اجتمعت فيها عدة بطون مؤتلفة وأفخاذ مختلفة من قبائل يوربا ثم اتخذت لنفسها اسم إ يبا الذي يعني المجتمع في لغة يوربا، اتخذت هذا الإسم ليدل على أنها اتحدت من عناصر مختلفة.

وقد تأسست بالمكان الحالي منذ حوالي سنة ١٨١٨م بعد اندراسها من المكان الأول بأسباب كثيرة أهمها توالي حروبها مع عويو للتحرر من نير استعمار المملكة اليوربوية.

ولقد ثار أهلها على العاصمة بزعامة قائدهم المسمى ألاتيشى للتخلص من الظلم والطغيان وقاومهم الملك بكل ما أوتي من قوة وعتاد ورجحت كفة الملك ففر المجاهدون من ميدان القتال واختبأوا في كهوف الجبال الموجودة بما يعرف الآن بأبيكوتا وكان ذلك بدليل أحد أبطالهم المسمى شوَديكى ولما استتب لهم الأمن هناك التحق بهم بطون أخرى من اليوربا وتأسست بهم هذه المدينة ونصبوا على كل بطن منهم ملكًا يخصهم وينضوون جميعًا تحت سلطان ألا كَي الذي كان يعد من أعظم سلاطين نيجيريا سلطة ونفوذًا منذ حوالي ١٩٠٠ وانخفض نفوذه بقيام الدستور.

ويهتم سكان أبيكوتا بالزراعة لهذا يألفون الأرياف والبساتين أكثر من إيلافهم المدينة وهم يزرعون الأرز وجذور الأكل والذرة للأستهلاك المحلي كما يزرعون الطنبول والكاكاو والبن للتصدير الخارجي.

ولقد أنبتت أرض أبيكوتا عباقرة الثقافة الإنجليزية وأنجبت الطبقات الأولى في صفوف القضاة والأطباء والمهندسين.

وبرعت نساء أبيكوتا في الصباغة وتخطيط الملابس المبقعة ولقد أنشئت بها مدرسة عربية على النظام الحديث سنة ١٩١٧م وقد تعاقب في سلك الدراسة بها الشيخ أبو بكر سيسي من سيراليون والشيخ هارون الرشيد والحاج إبراهيم الدندي والشريف عبد اللطيف الشامي وتخرج من هذه المدرسة عدد كبير من أبناء أبيكوتا منهم الشيخ محمد جمعة بمبولا الذي أسس بها مطبعة عربية سنة ١٩٣٢م نشرت عدة مؤلفات لعلماء نيجيريا القدماء والحديثين ومنهم الأستاذ سراقة أيوديج والأستاذ عكاشة أكما والإمام عبد المجيد وأمثالهم ممن لمعت أسماؤهم في سماء بلاد يوربا في الثقافة العربية.

وقد أنشيء بها أول مركز كبير للتبشير المسيحي منذ ١٨٤٢م ثم نقل هذا المركز إلى لاغوس ١٨٩١.

«إجَبو»:

اسم بطن من بطون يوربا يزعمون أنهم نزحوا من أرض واداي بالقرب من دارفور ويقول البعض أنهم عبيد اليوربويين الذين فروا من أيدي ساداتهم الذين يقدمونهم كضحايا وقرابين إلى آلهتهم في أعيادهم ومواسمهم الوثنية[1] وقد كانوا مشردين حتى حين أرسل ملك يوربا أحد عبيده ليتوسط بين قبيلتين متنازعتين هناك ثم أصبح هذا السفير ملكًا يأوي

(١) ص ١٩ تاريخ يوربا تأليف سمويل جونسن.

إليه جميع المشردين في تلك الناحية ولا يصح عندي هذا ولا ذاك بل الأرجح أن إجبو فرع من قبيلة إيبا ويدل على ذلك الشبه الكائن في ملامح الطرفين وتقارب لهجاتهما وعاداتهما.

وقد اشتهر أفراد هذه القبيلة بحب المال حبًا جمًا وإيثاره على أبنائهم ونسائهم ولهم مغامرات عجيبة في السعي وراءه بالسياحة والتجارة والصناعة، ومنهم أكثر الذين يزيفون النقود المتداولة حتى صار الناس ينسبون إليهم النقود المزيفة إلى اليوم.

ويشتهر قبائل إجبو بالشح الفاحش والحرص المفرط واللجاجة في التخاصم والافتخار والتكبر إلى جانب ما يتمازون به من الذكاء النادر والنشاط البارع ويكثر فيهم المحامون والمهندسون والدكاترة ومنهم زعيم آوولووه زعيم جماعة العمل المعروف[1].

ويهتم المسلمون منهم بتزيين مساجدهم الصغيرة والكبيرة يباهون بها المسيحيين الذين يتطاولون في بنيان الكنائس بتلك الجهات، والتقاليد الوثنية مع ذلك بادية عليهم في كل مكان، وفي أكبر مدنها جبواودي علماء متمسكون بالإسلام خير تمسك.

«إجَايَيْ»:

اسم مدينة قديمة أسسها أهل عويو ازدهرت حضارتها وتنافست مع مدينة أويو في الحضارة والسيادة فأغرى بها ملك عويو مختلف الأحابيش المكونة من ١٤٢ قبيلة فقاموا عليها بهجمات عنيفة وخربوها ١٨٦٢م وتفرق أهلها إلى أبيكوتا وإبادَن وأجاشَيْ وغيرها من بلاد يوربا.

(١) حزب سياسي المعارضة في الخمسينات والستينات وتوفى ١٩٨٩م.

«إجَيْشَا»:

اسم قبيلة من قبائل يوربا لها قصة مماثلة لقصة إجبو في كونهم منحدرين ممن يقد مون للأ صنام قرابين، وعاصمتهم إلَيشْا - وهم أكثر الناس شبهًا بأهل إلَيْفى في اللغة والعادة واللمحة وبجوارهم أجناس مماثلون لهم كأهل إيْكتي وأكُوْ كَو وأوْ ندُو.

وفي تلك الجهات تنتشر المراكز التبشيرية ومدارسها ومستشفياتها إلا أنهم يدرجون كثيراً من التقاليد الوثنية في الطقوس المسيحية.

والإسلام هناك ضعيف جدًا وهو بحاجة إلى التقوية بإرسال المرشدين إليهم أو بتعليم أبنائهم ليعودوا إليهم مرشدين.

«الورن»:

اسم المدينة التي يتألف سكانها اليوم من مختلف عناصر من يوربا وفلانه وهوسا ونوفى.

وقد بناها رجل يربوي يدعى تيلا وهو صائد يصطاد الفيلة بتلك النواحي وكانت تجاورها عدة قرى صغيرة يعمرها الفلاحون والفلانيون البقارون الذين هم شبه رحل ينتقلون مع أبقارهم، وكانت مدينة الورن على مقربة من عويولى عاصمة المملكة اليوربوية القديمة، وقد تولى على عرش المملكة حينذاك رجل اسمه أولي بعد تغلبه على منافسه الذي يدعى أفنجا من نفس الأسرة المالكة والذي اكتفى بمنصب قيادة الجيش الخارجي الذي يدعى كَكَنْفُو لأنه يقاسم الملك نفوذه في ذلك المنصب فأضمر كل لأخيه الحقد والسوء فأصبح يتربص بشريكه الدوائر ويتحين فرصة الوثوب وكان من

سوء حظ الملك أن نزغ الشيطان بينه وبين كبار دولته الذين على رأسهم رئيس وزرائه المسمى بشروَن فتألب الجميع على حياكة المؤامرات لاغتياله فانكشف سرهم ولكن الملك لم يستطع الأنتقام منهم وصار يتحين الفرصة ولما خاف أفنجا على نفسه من سطوة الملك التجأ إلى الورن لأنه يمت بصلة إلى صاحبها ليتسنى له هناك تأليف جيش خارج العاصمة بمساعدة صديقه أونكويي.

والملك بدوره يتفكر في استئصال شأفة أعدائه الذ ين يكدرون عليه صفاء الملك ورونق الدولة وينغصون عليه العيش والحياة وعلى رأس هؤلاء الأعداء أفنجا وبشرون فأصدر الملك أمره الرسمي ببعث الجيش الوطني تحت قيادة بشرون وأفنجا إلى محاربة بلدة أوَيْرَى وهو يعلم إنهم لا قبل لهم بها ولكن غايته أن يبعثهم إلى الموت على حساب الوطن.

وإذا لا مفر من تنفيذ المرسوم الملكي خرج الجيش كما أشير له ثم بعث الملك وراءهم جيشًا آخر من الحرس الملكى بصورة مدد في الظاهر ولكنه في الحقيقة خطة منظمة لقلب ظهر المجن للجيش الوطني حتى يلاقي القواد حتفهم من إحاطة الأعداء بهم من كل جانب فانكشف الأمر للجيش الوطني وترصدوا بالحرس الملكي وفتكوا بهم فتكًا ذريعًا.

ولما بلغ الملك هذا الخذلان الفظيع انتحر محتسيًا السم فكانت نهايته فعاد الجيش الوطني الداخلي إلى العاصمة واتجه أفنجا إلى معسكره في الورن مع الجيش الخارجي بعيد أن أسفرت الأحداث والتطورات عن استحالة جلوسه على عرش المملكة.

وفي هذه الأثناء سمع أفنجا بخبر عالم فلاني[1] ينتقل من بلد إلى بلد في أرض يوربا واعظًا ومرشدًا فاستقدمه افنجا إلى الورن ليستعين بدعائه في غزواته وفتوحاته ولما حضر العالم أكرم نزله ومثواه واستفاد منه افنجا استفادات كثيرة وأخذ صيت العالم ينتشر في الآفاق كما يتوافد إليه المسلمون المشردون بتلك النواحي من هوسا وفلانه ويوربا فتألف تحت قيادة رجل اسمه سولاً بيرْو جيش إسلامي عظيم يستعين به افنجا في غزواته إلى جانب جيش آخر تحت قيادة ملك مدينة إيكويى فتمكن افنجا بهؤلاء الحلفاء أن يشق عصا طاعة العاصمة وأن يكسر شوكة نجل بشرون الذي كان قد فر لاجئًا إلى بلاد بربر بعد أن قتل والده وأهلوه ومكث هناك يتحين فرصة الهجوم على العاصمة ليأخذ ثار ابيه ويستولي على كرسي رئاسة الوزراء فهاجم العاصمة وقتل أعيانها ثم خرج إلى الورن ليقاوم افنجا وكاد يقضي عليه لولا أن تداركه الحلفاء فشدوا أزره فانتصر على نجل بشرون وأصبح مرهوب الجانب إلى أن توفي الشيخ عالم سنة ١٢٣٢هـ بعد ستة أعوام من نزوله وخلفه ابنه الباكور عبد السلام بصفة إمام المسلمين وشيخهم ١٨٣١م.

ثم وقع النزاع بين افنجا وقائد الجيش الإسلامى سولا بيرو وعبد السلام فانتهي برمى الأسلحة بين الطرفين وقتل افنجا في هذه الواقعة. فقام لأخذ الثأر من ذلك حليفه ملك مدينة إيكويى الذي كان يساعد افنجا في القيادة الخارجية وعمد إلى إثارة حمية القبائل اليوربوية ضد أهل إلورن فقامت من جراء ذلك حروب طاحنة تخضبت الأراضي بدماء شهدائها من الطرفين طوال أربعين عامًا وكان النصر في جميعها حليف المسلمين الذين هاجموا مدينة إيكويى فدمروها وشتتوا شمل أهلها سنة ١٨٤٥م.

(١) اسمه صالح بن جنتا وأيضًا يلقب بعالم وهو بهذا الاسم مشهور.

ثم توبشت جيوش يوربا من كل مكان وزحفوا بخيولهم وأرجلهم إلى الورن وصدهم المسلمون في مدينة عوفا التي حمي فيها وطيس القتال طيلة أحد عشر عامًا حتى سقطت المدينة أخيرًا تحت سنابك خيل المسلمين كما فقدت مدينة عويو رونقها وجلالها فاضطر أهلها إلى الفرار من عويولي العاصمة القديمة إلى مكانهم المعروف اليوم حوالي سنة ١٨٣٧م.

وازدحمت مدينة الورن بالسكان وازدهرت حضارتها السياسية إلى جانب ازدهار العلم والدين واختارها بعض النخبة الممتازين من علماء هوسا وفلانه وغيرهما موطنًا لهم إلى أن ماتوا بها ونخص بالذكر منهم:

الشيخ العلامة محمد البيغوري الفلاني والشيخ أحمد التاختي النفاوي والشيخ إبراهيم الملقب بقبر العلوم الهوساوي والشيخ أبو بكر المدعو «بوبي» الفلاني والشيخ عبد الله الدندي والشيخ إبراهيم بتوري الذي جاء من أكدز والأمام الملوي الأول والإمام موسى الكبير الذي جاء من أبهجي[1] وأمثالهم من هاجر من إيسَيْن وأو يولى وغيرها.

وقد خلفوا نخبة من أبنائهم وتلاميذهم كالشيخ مالك بن الأمير شئت والشيخ بدر الدين والشيخ أحمد بن أبي بكر والشيخ أحمدَ ينْما وغيرهم ممن نوّروا بصائر الناس بالدين والأدب والعلوم في هذه البلاد.

«إيفى»:

اسم أقدم مدينة في بلاد يوربا التي يزعم البسطاء أنها مهد اليوربويين أو أنها مهد الإنسان الأول وموطنه الأصلي قبل أن ينزح أبناؤه إلى سائر القارات.

(١) يكتب بأياجي وبأبهجي.

وكذلك ينقلون في أمر مؤسسها مزاعم ملفقة وأساطير مضطربة لأنها ملتقطة من أفواه الشيوخ الأميين الذين لا يعتنون بلباب التاريخ أكثر مما يعتنون بالخرافات والخزعبلات ولأنها منقولة عن المشركين الذ ين يقدسون أسلافهم ويتخذون منهم آلهة يعبدونها من دون الله ويرجون منها الخير ويتقون منها الضير .

والواقع أنه يصعب أن تصح الروايات الشفهية عن الحوادث التي ترجع إلى ألف سنة قبل أن يدوَّن منها شيء .

وليس لتاريخ نيجيريا القد يم إلا مرجعان اثنان أولهما السلطان محمد بللو المتوفَّى ١٨٢٧م في كتابه إنفاق الميسور وثانيهما سمويل جونسن في تاريخ يوربا ١٨٩٧م ولم يسلم الأثنان من الزلل فيما كتبا رغم الجهود التي بذلا في تحقيق الروايات وغربلتها لتمييز الخثالة من النقاية .

ونحن نثبت هنا خلاصة ما يروون مما لا بأس به بين تلك الروايات ثم نعلق عليها .

يقولون أن يوربا وبرنو وغوبر ونوبه أبناء أخوة واحدة أو أبناء أعمام هاجروا سويًا إلى هذه البلاد من آسيا وتخلف النوبة في أرض دنغلا واستمر الباقون في السفر حتى وصلوا هذه البلاد واستقر كل بالجهات المعروفة بهم اليوم .

وهذا قول لا يبعد عن الصواب نظرا للشبه الكائن بين هؤلاء الأجناس فى ملا محهم ، وسمات وجوههم التي يرسمونها على أصداغهم ويرى هذه السمات في وجوه النوبيين والسودانيين واليرباويين على السواء .

والآخرون يقولون أن مؤسس مدينة إليفى رجل من سلاسة نمروذ أو كنعان طرده يعرب بن قحطان من العراق وهرب إلى هذه البلاد وينسب هذا القول إلى السلطان محمد بللو في كتابه «انفاق الميسور». ومن قائل أن الرجل يدعى نمروذ طرده المسلمون من بلاده بعد قتال عنيف وفر هو وأولاده بوثنيتهم إلى هذه البلاد وقائل آخر يروي أن الرجل اسمه هوُدَ ودوا ولعله من «هَدندَوه» بالسودان وهو أول من سكن هذه المدينة هو وزوجته وبنوه ثم بعد موته أصبح أولاده جميعًا ملوكًا على البلاد.

وفي رواية أنه أدرك بها أناسًا ولكن جهلهم بنظام الحكم أفسح مجالاً لهذا الرجل أن يديرهم ويسوسهم ويتملك عليهم مدى حياته ولما مات خلف ستة أولاد وبنتًا واحدة اتجه كل ولد من الاولاد إلى ناحية من نواحي هذه البلاد فأصبح ملكًا متوجًا عليها، أولهم ملك مدينة بنينْ والثاني ملك مدينة إيلا والثالث ملك مدينة كيتُو والرابع ملك مدينة بوبَو والخامس ملك مدينة أوْوُو والسادس ملك مدينة اليفى الذي انتقل أخيرًا إلى مدينة عويو واستخلف نائبًا في مدينة إليفى يحمل لقب عوني. هذا الذي رجحه سمويل جونسن.

«النقد والتعليق»:

أن القول بأن الجد الاعلى لليوربا من أبناء كنعان الذين طردهم يعرب ابن قحطان إلى أرض يوربا فيه غفلة سافرة وتناقض واضح. ما هي الجريمة التي ارتكبها أبناء كنعان حتى طردهم من أجلها يعرب من العراق..؟

وهل يوجد في تاريخ العراق وفي تاريخ يعرب بن قحطان ما يؤيد هذا

القول . . ؟ كلا . أن قبائل يوربا منتسبون إلى يعرب وهذا الاسم وحده يكفي لاثبات هذه النسبة فكيف يصح في البرهان المنطقي أن ينتسبوا إلى عدوهم الذي أخرجهم من ديارهم بغير حق إن صح هذا القول؟

والواقع أن علماءنا الأقدمين هم الذين يلفقون هذه الظنائن ويحملون أقوياء بلادهم على من يجدون أخباره في القرآن والتاريخ فحملوا ألا فن الذي هو أعظم ملك يعرفون في بلاد يوربا على أنه من بقايا أو من سلالة نمروذ أعظم ملك في الدنيا القديمة على حسب ما يقرأون عنه في التاريخ والتفسير .

وكذلك حملوا الأنجليز الذين استعمروهم واستعبدوهم على أنهم بنو أسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين ولا يزال كثير من علمائنا حتى اليوم يظنون أن الإنجليز وفرنسا هم بنو إسرائيل المذكورون في القرآن مستدلين على ذلك بتفوقهم على الشعوب وتغلبهم على الأمم، واستعمارهم للبلاد واستعبادهم للشعوب واستذلالهم الملوك .

أن القول بأن قبائل يوربا ملوكًا ورعية يرجعون إلى أصل واحد أو أن رجلاً توج نفسه ملكًا على بنيه أو أن أبناء رجل واحد تملكوا جميعًا على البلاد المختلفة في زمن واحد بدون قتال أو احتلال عسكري فكل ذلك قول بعيد عن الحقيقة والواقع، أما ما يذكر في تاريخ هوسا من مثل هذه القصة فإن القرائن تثبت أحتمالها غير ما يذكر في تاريخ يوربا فكلها مضطربة متناقضة متعارضة .

والذي نراه صحيحًا وسوف يوافقنا عليه القارىء بعد متابعة سيرنا إلى

النهاية أن مدينة اليفى أقدم مدينة فى بلاد يوربا ويحتمل أن يكون سكانها الاولون من النيغرو ثم نزل بها المصريون ثم اليورباويون «العرب» الذين غزوهم من عويو واستعمروهم.

كما نعتقد أن يوربا من قبائل العرب أو من أبناء يعرب ولهذا انتسبوا إليه وأن فروع قبائل يوربا المعروفة اليوم ليست من أصل واحد[1] كما يزعمون بل انتحل أكثرهم الانتساب إلى يوربا وتكلموا بلغتهم أيام أن بلغت المملكة اليوربوية أوج مجدها واستعمروا كثيراً من هذه البلاد.

وقد تكونت قبائل يوربا الحالية من عناصر متعددة أهمها الزنوج والنوبة والبرابرة والعرب، ويستدل على ذلك بتعدد عناصرهم واختلاف لهجاتهم وملامحهم وكون القبائل المجاورة لمدينة عويو أفصح لساناً وأبلغ تعبيراً من القبائل الباقية.

فما كان اختلاف لهجات العرب المصريين والشاميين والمغاربة إلا من اختلاف العناصر التي تعربت أو جاورت العرب.

هذا وقد وجد في مدينة إليفي آثار الفن الفرعوني من المسلة الحجرية وتمثال الرؤوس المصورة من الخزف وبعضها من النحاس وبعضها من الحجارة كما وجد على الجدران وألواح الأبواب القديمة كتابات هيروغليفية وكذلك قبورهم وتقاليد دفن موتاهم ونحو ذلك مما يثبت العلاقة بين سكان اليفى الأصليين وبين المصريين القدماء.

(1) Yoruba peoples page 3 By Nivig.

«إيكُويى»

اسم مدينة نزح إليها جماعة من مدينة عويو في القرن الرابع عشر الميلادي وبلغت أوج مجدها في الحضارة والتجارة والسياسة خصوصًا عندما أصيبت مدينة عويو بالانحطاط والتدهور ١٥٥٠م من غارات النوبة المجاورين لليوربا في ضفة نيجر الشمالية فانحاز أهلها إلى إيكويى فازداد ازدهارها إلى أن هاجمتها الجيوش الفلانية سنة ١٨٠٠م وخربوها وشتتوا أهلها وافترقوا في البلدان المجاورة.

«إيوَوْ»

بلد من البلاد اليوربوية التي قوي فيها الإسلام بالقرن الماضي وهي على بعد ٢٨ ميلاً بالشمال الشرقي من مدينة إبادن اتخذتها جمعية التبشير المعمودية مراكز لها منذ ١٨٧١م وهي تنفق كل غال ورخيص لتنصير أبناء هذه البلاد عن طريق التعليم الإنجليزي ولقد نشطت بها الآن حركة التعليم العربي على أيدي بعض علمائها الغيورين.

«أويُوْمَشُوْ»

مدينة قديمة التاريخ مأهولة ببطن من قبائل يوربا هم أشبه إنسان في ملامحهم وسمات وجوههم بالقبائل البرناوية وقد أسسها قوم من ايكويى فيما غبر من الزمان ونزل بها الشيخ عالم قبل نزوله بإلورن. فيها الآن كلية تبشيرية لتخريج الأساقفة ومستشفى كبيرة بنيت منذ سنة ١٩٣٠ للدعاية التبشيرية ومن أبناء هذه المدينة سمويل اكنتولا رئيس وزراء غرب نيجيريا والمنازع اللدود للزعيم أوبافيمى أوولوو.

«عويُولي»:

اسم المدينة التي كانت بالقرون الوسطى عاصمة البلاد اليوربوية[1] يقولون أنها أسست بعد تأسيس اليفى ومؤسسها رجل يدعى عورنين من أبناء أحد اليوربويين وقد ذكروا فيما يزعمون أنه أصغر أخوته ولكنه أقواهم وأشجعهم وأدراهم بالأساليب الحربية ولهذا صار قائدهم الأعلى.

ألف جيشًا عظيمًا مكونًا من إخوته وأبنائهم وعبيدهم يقصد بذلك الهجوم على الشرق العربي الذي طارد أباه. فخرجوا جميعًا من اليفى واستنابوا واحدًا اسمه أديمو ثم لم يذهبوا بعيدًا حتى وقع النزاع بينهم فرجع الأخوة إلى مواطنهم.

أما القائد الأعلى فاستمر في الزحف ببقية الجيوش حتى وافى نهر النيجر فصدته قبائل نوفى عن المرور بأرضهم فانثنى قافلا ببلاد برغو من أجناس البربر ونزل ضيفًا على ملك بوسا الذي أشار عليه بعدم المضي في عزمه وساعده في بناء مدينة أخرى سماها عويو أجاكا ومنها قام بحملة عسكرية يشن بها هجمات عنيفة على إخوته الذين خذلوه حتى هاجم اليفى وبنين وما جاورها ومد سيطرته عليها واتخذ أهلها سخريًا إلى أن مات في اليفى ومسلته منصوبة على قبره تخليدًا له.

النقد والتعليق:

يظهر التضارب جليًا في هذه القصة مما يجعلها تحتمل الكذب أكثر من احتمالها الصدق لقد قلنا سابقًا أن المصدر الوحيد لتاريخ يوربا هو كتاب

(١) يقال إن العاصمة انتقلت من ألبفي إلى عويو في عهد الملك الثاني أو الرابع من ملوك إليفي.

سمويل جونسن الذي جمع تاريخ ألف عام من أفواه الشيوخ الأميين في دنيا الأساطير والخرافات وللباحث أن يقبل مثل هذا التاريخ ما يدخل في حدود المنطق ويرد ما يستحيل ويفترض ما يجوز أن يكون.

بأي أسلحة وبأي مقدار من العدد والعُدد يقوم قائد زنجي من أقصى غرب أفريقيا ويتوجه إلى آسيا يقطع ألوف الأميال عبر الغابات الكثيفة والصحراء القاحلة والبحر الأحمر ليهاجم جيلا من الناس كانوا قد طاردوا جده أو أباه؟

هل يريد أن يؤدب قومًا عزلا كانوا قد أساؤوا إليه الأدب في أقرب مكان له؟ كلا وحيث قالوا أن الرجل المدعو عورنين هو الذي بنى مدينة أو عويولي على أثر الخذلان الذي أصابه من أخوته ثم قالوا أنه مات في إليفى. وحيث قالوا أن برنو وبرغو وغوبر ويوربا أبناء أعمام هاجروا سويًا أو طوردوا سويًا إلى هذه البلاد فكيف يفكر أحدهم أن يهاجم موطنه الأصلي وحده في حدود قواته الضئيلة؟

والرأي عندي أنه يحتمل أن تكون مدينة عويولي أقدم من إليفى لأن موقعها الجغرافي أقرب إلى العمران من موقع اليفى التي تقع في الغابات الكثيفة بين الادغال والمستنقعات.

وفيما يقولون من أن مدينة اليفى مهد الإنسان الأول وأصل البيض والسود دليل على ضعف دعواهم وعلى عدم اهتمامهم بحقيقة التاريخ.

إذ يقرب من العقل أن يهاجر المغلوبون على أمرهم من الشمال إلى الجنوب ومن السفانا إلى الغابات كما هاجروا من عويولي القديمة إلى عويو الحاضرة.

ومن شمال أفريقيا وشرقيها استفاض الناس إلى جنوبها وغربها لا العكس. ولقد كانت مصر والحبشة مهد الحضارة الأولى للإنسان وكان شمال أفريقيا موطن الفينيقيين والقرطاجنيين والروم والبربر والعرب منذ آلاف السنين ومن تلك النواحي استفاض الناس إلى سائر الجهات الباقية في أفريقيا.

أما عن المملكة اليوربوية فلا بد من التسليم بوجود ملك عظيم الشأن من ملوك عويولي بالقرن الخامس عشر وسواء كان عورنين أو غيره.

ولقد قام هذا الملك بفتوحات واسعة النطاق نحو الشمال هاجم فيها بلاد نوفى وصده أهلها عن دخولها عنوة ثم أعاد الكرة فكان كالأول ثم تبادلوا معه الهجمات حتى دمروا فيها مدينة عويولي وشتتوا أهلها واضطروهم إلى تأسيس مدينة أخرى باسم عويوإبوهو حوالي سنة ١٥٥٠م ثم تهادن الطرفان وانفتحت بين البلدين أبواب التجارة والسياحة.

وتمكن العلماء المسلمون النوبيون أن يدعو اليرباويين إلى الإسلام ثم اختار أهل عويولي العودة إلى موطنهم الأول شوقًا إلى آثارهم المقدسة ومقابر أجدادهم وآبائهم التي اتخذوها معابدهم.

ثم قدم هذا الملك بفتوحات صوب الجنوب وهاجم اليفى وبنين والداهومي وأشانتي وبسط نفوذه عليها واتخذ أهلها سخريًا يعطونه الضرائب الضخمة عن يد وهم صاغرون وكانت خاتمة مطافه بإليفى حيث قضى نحبه بها وقبروه هناك ونصبوا على قبره المسلة الحجرية تخليدًا لاسمه وتذكارًا لجهاده ورمزًا لجلاله.

وخلف من بعده خلف ما ضعفوا وما استكانوا يحافظون على مملكتهم طوال ثلاثة قرون ثم خضعت للانحطاط وانحدرت من ذروتها.

وكذلك يمكننا أن نقول أن سكان اليفى وبنين ليسوا من أصل يربوي بل هم أقرب إلى الزنجي أو البربري منهم إلى اليربوي.

أما انتسابهم إلى اليوربا وتكلمهم بلسانها فإنما حدث من بعد تغلب اليربويين عليهم لأن المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب كما قرره ابن خلدون.

وربما يشهد لهذا اختلاف لهجات أهل إليفى بلهجات أهل عويو وكون فصاحتهم دون فصاحة عويو اليوربا الحقيقي.

«أوكِينَيْ»:

مدينة تقع على مقربة من لوكوجا في إمارة كَبَا وهي عاصمة قبائل إغبراه التي هي مزيج من يوربا ونوفه ولقد كان سلطانهم المسمى أو هنَدسي كافرًا وثنيًا ولما أسلم أحد أعوانه المسمى (إبراهيم أتاحْ) على يد الشيخ عبد السلام الألوري ١٩١٤م وتعلم القرآن والفقه على يد الشيخ يحيى الإمام ١٩١٧م اشتد نفوذه وعظم شأنه وأصبح بفضل إسلامه سلطانًا بدل أو هندسي ثم تنازل عن السلطنة في آخر إيامه وانقطع للعبادة منذ سنة ١٩٥٥م بعد مكثه في السلطنة حوالي أربعين سنة وقد حج سنة ١٩٣٣م ومن أولاد هذا السلطان الحاج عبد المالك الذي يشغل الآن منصب المندوب السامي لحكومة نيجيريا بإنجلترا.

اسم العاصمة الجديدة لبلاد نوفى وقد استقروا بها بعد تنقلاتهم المستمرة من مختلف العواصم القديمة.

والنوفاويون منحدرون من أصل نوبي نزح أجدادهم الأولون من أعالي مصر وتشهد لذلك ملامح وجوههم وعاداتهم إلى جانب هذا الاسم المعروف بهم وكذلك صناعة الأسورة والحصر الجميلة التي يجيدونها مما ينسب أصلها إلى النوبيين القدماء.

وقد زالت اليوم عن قبائل نوفى جنسيتهم وضاع عنهم تاريخهم كما ضاع تاريخ جيرانهم وصاروا الآن أخلاطًا من قبائل هوسا وفلانه وإغبره ويوربا ولغتهم الحالية خليطة من لغة هوسا ويوربا كما تقرب ديانتهم وعادتهم من ديانة يوربا وعادتهم.

ولقد قامت بينهم وبين يوربا حروب دامية بالقرن السادس عشر الميلادي وكانت بين الطرفين سجالاً في عشرات من السنين ثم انتهت بالتصالح والتهادن.

ولقد ضاع تاريخ الدول التي عاشت في بلاد نوفى قبل قيام الدولة الفودوية غير السلطان جبريل الذي اشتهر بالعدالة والتقوي والصلاح كما ذكره الشيخ محمد بللو في إنفاق الميسور.

ويبدأ تاريخهم الحديث بأن رجلا عالمًا يدعي «دندو» جاء من البلاد الفلانية ونزل ضيفًا على الأمير ماجيا بأرض نوفى فعمل في معالجة امرأة مجنونة فوفقه الله في شفائها فصار بذلك محترمًا بين الناس.

واتفق أن استعان الأمير بدعاء هذا العالم عند خروجه إلى إحدى غزواته فاستجيب له فلما عاد منتصراً بعث ببعض غنائم إلى هذا العالم وهو أيضًا بعث بدوره قسطًا من الغنائم إلى شيخه عتيق الذي هو أمير المؤمنين بسُوكُوتُو ما بين ١٨٣٧ - ١٨٤٨م ومن هنا بدأت إمارة بدَّه تندرج في إمبراطورية سوكوتو. ثم تنازع عثمان زاكي ومحمد ماسابا على عرش بدَّه بعد وفاة دندو فتم لعثمان النصر والغلبة وخرج خليل أمير غندو أخو سلطان سوكوتو إلى رابا عاصمة نوفى للتصالح بين الاثنين وعين ماسابا على الدولة فاتخذ ماسابا قائدًا برنويًا اسمه عمر يستعين بخبرته في شئون الحرب فقام يعارض سيده حتى طرده إلى مدينة إلورن ثم قام الجنود الفلانيون من مدينة غَنْدوُ لمناصرة عثمان زاكي الذي ينافس ماسابا فأخرجوا عمر من الملك وأعادوا عثمان ولكن الشعب طلب عودة ماسابا المطرود فعاد إلى الوطن وعاش الإخوان في وئام إلى أن ماتا خلف أحدهما الآخر في الملك.

وكان حفيد دندو المدعو عمر ماجيغي عالمًا ذكيًا طلبوا منه أن يتأمر فامتنع فاختار قيادة الجيش وتوزر للأخوين السابقين ثلاثين سنة وبعد وفاتهما ألح عليه الشعب أن يقبل الإمارة فقبلها بعد طول إباء في سنة ١٨٧٣م ودام فيها أحد عشر عامًا. وقد ظهر في مدينة بدَّه نخبة من أهل العلم والأدب أمثال الشيخ الحاج الوزير البرناوي المتوفى ١٩٤٥م والشيخ دنغنجى وأمثالهم.

«بَدَاغِرِي»:

بلد علي بعد ثلاثين ميلاً غرب لاغوس وقد كانت أكبر أسواق العبيد بساحل أفريقيا حوالي ١٧٥٠-١٨٠٠م.

ولما وقع الخلاف بين الأخوين كوسوكو وأكتوبي على عرش لاغوس وحدث بين أنصار الاثنين مناوشات في بداغري وشن هجمات الداهومي على أهل بداغرى كل ذلك أدى إلى هجرة أكثر السكان منها إلى لاغوس فزال مجدها وقل سكانها.

«بوتشى»:

اسم للبلاد التي تقع حول جبل عظيم الارتفاع تظهر قمته للناظر على بعد عشرين ميلاً وبها معدن كبير للقصدير ولقد وجد بها من الآثار التي يرجع عهدها إلى العصر الحجري الحديث.

ويقال أن سكانها الأولين كانوا من قبائل النوبة والبربر ويعمرها اليوم أخلاط من عناصر متعددة وقد كانوا كفاراً وثنيين وأسلم أكثرهم على يد الشيخ يعقوب أحد أتباع الشيخ عثمان بن فودي وقد تغلغل فيهم المبشرون ونصروا كثيراً من أبنائهم.

«بَرْنُو»:

اسم كان يطلق على المدينة والقبيلة معًا وأصلهم من البربر البيض وقد اختلط بهم العرب والفلانة والزنوج.

واشتهرت قبائل برنو بصناعة القراطيس والنعال ودبغ الجلود وصناعة الحديد وعمل السكاكين والسيوف الحادة. وهم أمهر الناس في الفروسية في أفريقيا الغربية. ويقول محمد بللو «أنهم طردهم حمير من اليمن بعد أفريقش وتبع. وسبب مقامهم باليمن على ما زعموا أن أفريقش استغاث به أهل الشام حين أكثر البرابرة الفساد فيها واستنصروه عليهم وغزاهم وشتت

جموعهم وقتلهم ولما رأى نجدتهم استبقى ذراريهم عنده مماليك يستعين بهم ولما مات ومضى عليهم زمن طويل قاموا على حمير فاقتتلوا فطردهم حمير من اليمن واستوطنوا أفريقيا من أرض حبشة إلى كانم ووجدوا في هذا البلد عجمًا تحت حكم أخوانهم التوارك يقال لهم أمكيتا وغلبوهم على البلاد وأقبلت دولتهم أيام استيطانهم حتى ملكوا أقاصيها ودانت لهم وادى وباغرمى وهوسا».

هذا ما رواه محمد بللو في إنفاق الميسور ولكنه مشكوك في صحته ولقد ناقشناه في باب القبائل.

أما الذي لا غبار عليه هو أن برنو مملكة قديمة واسعة كانت من ممالك السودان القديمة. وصل نفوذها إلى حدود مصر شمالاً وإلى المحيط الأطلسي جنوبًا وكانت صلتها بمصر متينة أدت إلى إرسال بعثات علمية إلى مصر وتخصيص رواق منسوب إليها ضمن الأروقة الإسلامية بالأزهر ويدعى حتى اليوم برواق برنو.

وأول من سجل التاريخ أخباره من ملوكها هو الملك الكانمي المنتسب إلى بني سيف بن ذي يزن الذي أقام عاصمة ملكه في ماو حوالي سنة ١٠٠٠م وفي حكم أحد خلفائه سليمان ازداد انتشار الإسلام بأرض برنو وأقيمت الشريعة الإسلامية مقام القانون وأحلت محل التنفيذ والتطبيق.

ولما سقطت هذه الأسرة قامت على أنقاضها أسرة كانْمبوُ وأول ملوكها تسليم الذي حكم ما بين ١١٩٤- ١٢٢٠م وتلقب بالماي أيَ السلطان وخلفه دوناما الذي حارب التيديين الثائرين عليه من رعاياه.

ومر على هذه المملكة قرنان من الزمان وهي مستمرة في فوضى واضطراب إلى أن ثارت عليه قبيلة بولالا في عهد الماي إبراهيم ١٢٨٨- ١٣٠٤م وألقت المملكة في أتعاب مريرة دامت ثلاثمائة سنة.

وفي عهد إدريس الأول ١٣٥٢- ١٣٧٦م زار الرحالة العربي الشهير بابن بطوطة غرب أفريقيا ونوى أن يزور برنو غير أنه رجع عندما سمع أن السلطان إدريس لا يظهر للشعب ولا يخاطب الغرباء.

وتولى عمر الماي ١٢٩٢- ١٣٩٨م وترك مدينة كانم وبنى عاصمة أخرى في غاسارو ثم جاء من بعده ابنه إدريس الثاني ١٥٠٤- ١٥٢٦م واستولى على كانم مرة ثانية وحررها من سيطرة بولالا.

وفي عهد إدريس الثالث ألوما بلغت الإمبراطورية أوج مجدها واستعملت الأسلحة النارية واتسعت حدود الإمبراطورية ودامت حقبة من الزمن ثم أعاد بولالا هجومهم واستولوا على برنو بعد موت إدريس الثالث.

ثم قام المهاجرون من وَادَايْ وطردوا بولالا من كانم وأنشأوا عاصمتهم في ماو إلى أن هاجمت جيوش ابن فودي أرض برنو في عهد الماي أحمد وأخرجوه من عاصمته وفر لاجئًا إلى الحاج أمين الكانمي الذي استرد برنو من جيوش ابن فودي بالحديد والنار وأعاد الماي أحمد إلى ملكه ومن ثم صارت أسرة الكانمي أسياد البلاد البرنوية إلى اليوم ولا يزالون يحملون لقب الشيخ تقليداً بالشيخ الحاج أمين الكانمي الذي كان بحراً لا يعرف له ساحل في العلوم العقلية والنقلية.

وقد زار الرائد الإنجليزي كلاباتن مدينة برنو ولقي الشيخ الأمين الكانمى ١٨٢٢م وأخذ صورته المنشورة في كتب التاريخ كما عقد معه المعاهدة التجارية.

وحكم الشيخ عمر البلاد بعد موت أبيه الحاج الأمين ١٨٤٦م واتخذ كوكا عاصمة له ثم خلفه هاشم.

وفي عهده سنة ١٨٧٥م هاجم القائد العنيد المسمى رابح بلاد برنو وقتل هاشمًا ودمر كوكا عاصمته وبسط نفوذه على البلاد غير أنه لم يدم فيها طويلا حتى سلبت منه وصارت في حوزة الحكم البريطاني منذ ١٩٠٠م.

«بِنِيْن»

إحدى المدن القديمة التي يزعم بعض اليورباويين أن مؤسسها أحد أبناء الجد الأعلى لليورباويين وقد ناقشنا هذا الكلام في موضعه.

والصحيح أن أهل بنين ليسوا من أصل يربوي ولا يتكلمون اللغة اليوربوية وربما كانوا من الأصل النوبي أو البربري[1].

ولما قام البوربويون بفتوحاتهم الممتدة إلى جهات السواحل هاجموهم وغلبوهم على أمرهم واستعمروهم وخلفوا فيها تراثهم اللغوي والثقافي. استعادت بنين استقلالها من نفوذ يوربا وأنشأت بعد ذلك مملكة قوية الشوكة أدركها الأوربيون في أوج الحضارة والمدنية بالقرن الخامس عشر وذلك بوصول البرتغالي المسمى دافيرو إلى مدينة بنين سنة ١٤٨٥م وأجرى مع ملكها مفاوضات أسفرت عن إرسال سفير من بنين إلى ملك البرتغال لعقد

(1) REligion of Yoruba by Lucas p. 7.

اتفاق تجاري بين الطرفين وإعطاء التصريح للمبشرين البرتغاليين في مباشرة أعمالهم التبشيرية في بنين.

وبناء على ذلك وصل المبشرون الكاثوليك من البرتغال إلى بنين سنة ١٥١٥م وبنوا بها الكنائس والمدارس ولكنهم لم يلبثوا أن رجعوا لعدم تمكنهم من التبشير كما يشاؤون وذهبوا إلى مدينة وَاري التي كانت على بعد ثلاثة وستين ميلا من بنين واستقروا بها مدة ثم رجعوا إلى بلادهم.

وفي سنة ١٥٥٣م وصلت أول باخرة إنجليزية إلى بنين تحت رئاد قبطان وندهان فابتدأت الصلة التجارية بين الطرفين.

وفي سنة ١٥٨١م بدأت تسقط من أوج مجدها وافترق أهلها إلى البلدان المجاورة من جراء نزول أهلها في ميدان النزاع مع شركات إنجليزية ١٨٩٧م وأطلقت عليها نيران المدافع والبنادق ودمرت أبنيتها الفاخرة فضاعت بذلك نضارتها وفقدت مكانتها بين البلاد.

«الدَّاهُومِيْ»[1]

اسم القطر الذي يجاور نيجيريا من غربها يسكنه أخلاط من البرابرة والزنوج المنحدرين من النيجرو (ويسمون أناغو) واليوربا وغيرهم وعاصمتهم الشعبية «بورت نوفو أجاشي» ومرفأهم أو عاصمتهم السياسية مدينة كوتونو التي خطتها فرنسا منذ ١٩٠٠م.

وقد كانت عاصمتهم القديمة مدينة أبومي ولما ضعفت بالحروب التي تندلع نيرانها من حين إلى آخر قامت عاصمة أخرى في مدينة أجاشي بقيام

(١) حديثًا هي «جمهورية بينين».

ملك عظيم يدعى توفا الذي وطد أواسي الدولة وأرغم الناس على طاعته وقبول أمره بالحديد والنار وحكم بعده أبناؤه إلى أن جاء الفرنسيس واحتلوا بلادهم. ويرجع تاريخ تكوين الداهومي إلى القرن الحادي عشر الميلادي أما قيام دولتهم فيرجع إلى القرن السابع عشر.

حيث زعموا أن أربعة أولاد لما فقدوا والديهم فجأة هاجروا إلى قرية هناك وسكنوها حتى بلغوا الرشد فقام أكبرهم المسمى «داكودونو» إلى قرية أبومي وأنشأ بها حركة سياسية لم تكن معروفة لدى القوم وترأس عليهم بهذا الذكاء النادر وأصبح ملكًا كبيرًا في بلاد الداهومي بل هو أول من أسس المملكة في تلك البلاد وظل كذلك حتى مات ١٦٤٥م وخلفه أبناؤه في الحكم.

وفي عهد الملك ألافنْ المسمى أوجيغى ١٦٩٨م هاجم الداهومي جيوش اليوربويين وأدرجوا أرَضها تحت حكم يوربا ردحًا من الزمان ولما تسرب الضعف إلى المملكة اليوربوية قامت الداهومي بشن الهجوم على المملكة لاسترداد استقلالها كاملا غير منقوص وسالت في ذلك أنهار الدماء بين الطرفين.

وفي تلك الأثناء نزل بالداهومي رحالة دوتشي يقال له «بوزمان» ودون مشاهداته الرهيبة فيما نشر بإنجلترا سنة ١٧٢١م تحت عنوان على ساحل غينيا.

وفي سنة ١٨٥١م تناوشت الداهومي مع أبيكوتا غير أنها لم تستطع التغلب عليها وانقلبت على عقبها خائبة ١٨٧٥م وقد نزح إليها بعض اليوربويين أيام استعمارها وتبقوا هناك حتى اليوم ولا يزالون يحتفظون بجنسيتهم اليوربوية بين قبائل إيْغُنْ الأصليين.

هي أقدم البلاد الهوسوية. وأول النازلين بها على ما يحتمل قوم من النوبة الذين نزحوا من مصر العليا ثم قوم من الحبشة والعرب فتكونت منهم القبيلة الهوسوية القديمة حوالي القرن الثامن الميلادي.

ويقال أن أول من تأمر عليهم هي امرأة تسمي «كَبْرَه» ثم امرأة أخرى تدعى يكنى ثم أخرى أسمها نَبَوى ثم يكْنُو ثمَ ويْدم ثم وَيْوى ثم غدر غدر ثم دوراه التي نسبت إليها المدينة أخيراً والتي انتهت إليها عهد الهَوسَوية الأولى وابتدأت الهوسوية الوسطى ما بين القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر وحاصل القصة على ما زعموا أن قائداً عربيًا يدعى أباجيدة «أبا يزيد» نزح من بغداد على أثر انهزامه أمام جيوش رجل يدعى بذي طوى[1] ولما ضاقت أرض العراق برحبها على أباجيدة خرج يهيم على وجهه في الأرض مع من بقي معه من الجنود حتى وصل إلى برنو وأحتلها بجنوده التي تفوق جيوش برنو في العَدد والعُدد.

ولما خاف سلطان برنو على نفسه منه احتال على أباجيدة بتزويجه ابنته فاستأمن بذلك جانبه فأصبح أباجيدة ألعوبة بيد زوجته تحركها كيف تشاء وفق إرادة السلطان. وكلما أراد السلطان أن يحارب بلداً بعث إليه أباجيدة على رأس جنوده ذوي الخبرة الواسعة في الأساليب الحربية. ولم يزل السلطان يعامل أباجيدة بهذه المكيدة حتى لم يبق معه إلا القليل.

ولم يشف غيظ السلطان على أباجيدة بل أخذ يدبر مؤامرة أخرى لاغتياله ولما أحس أباجيدة منه ذلك فرق البقية الباقية من جنوده في البلاد

(١) وربما كان ذلك بعد الإسلام لأن استقرار العرب بالعراق لم يثبت إلا في عهد الإسلام.

وتوجه هو إلى دوراه حيث نزل ضيفًا على عجوز يقال لها ويره ٩٠٠م وطلب منها الماء فأجابت أن الماء لا يوجد هنا إلا مرة في الأسبوع فسأل عن السبب فأخبرته بقصة الحية التي تسمي سركى وهي التي اتخذت البئر مأوى لها ولا تسمح للناس أن يدلوا دلوهم إلا مرة في الأسبوع فانتحى أباجيدة نحو البئر فأدلى دلوه فأخرجت الحية رأسها لتلدغه فأعلاها بسيفه الهندواني فقتلها وأخرجها من البئر وقطع رأسها فحمله إلى البيت فشاع الخبر إلى الملكة دوراه واستحضرته أمامها مع ربة منزله واستدعت أهل البلاد إلى تكريم أباجيدة ثم زوجته أبنتها وصار الناس يترددون إلى بيته ويسمونه قاتل الحية وآل إليه الملك بطبيعة الأمر وأصبح سلطانًا بعد موت دوراه.

وصار السلطان بعد ذلك يدعى باسم تلك الحية «سركى».

ولما مات بايزيد خلفه ولده المسمى «باو» فبما أن مدينة دوراه هي التي تعتبر أكبر مدن هوسا القديمة جعل باو يبعث من أولاده إلى البلاد المجاورة من ينوب عنه فتكونت بذلك إمبراطورية هوسوية تتألف من سبع دول كبرى وهذه هي أسماؤها:

١- بَغَوْداَ هو الذي صار ملكًا على كانو.

٢- أغزورى هو الذي خلف أباه على دوراه.

٣- غنغما هو الذي تأمر على زكزك.

٤- دوما هو الذي تملك على زنفره.

٥- زمنكوغو هو الذي تسلطن على بلاد رانو.

٦- كمايو هو الذي استولى على كاتشنه.

هؤلاء الذين خلقوا دول هوسا السبع التي تألقت في سماء مجد نيجيريا الشمالية منذ حوالي القرن الحادي عشر الميلادي إلى أن تسرب إليها الونى والفتور واحدة بعد أخرى حتى قضت على البقية الباقية من آثارها نهائيًا جنود الإمبراطورية الفلانية تحت قيادة البطل الإسلامي الشهير عثمان بن فودي.

التعليق على هذا الموضوع:

يوجد الانسجام في سرد هذه القصة مما يجعلها محتملة الوقوع كما يظهر أن أبا يزيد هذا جد لملوك هوسا وليس جدًا لقبائل هوسا كما يدل أسمه على أنه عربي قريب من بني أمية الذين انهزموا بقيام بني العباس.

ولا يرتاب الإنسان في هذه القصة إلا في تتابع النساء في الولاية على عرش دوراه حتى بلغن ثمانيًا ولكن ذلك أيضًا محتمل الوقوع في النظام الوراثي كما يستنتج من ذلك أن تقاليد هوسا القديمة لا تأبى للنساء أن يتملكن على الرجال وفي تاريخ زاريا ما يماثل ذلك.

«زَارِيا»[1]

اسم للمدينة المعروفة قديمًا ببلاد زكزك التي تولى عليها غنغما من أسرة أبا يزيد وتعاقب أحفاده على عرش زكزك أحقابًا طويلة ثم سقطت منها ووقعت في قبضة امرأة تسمى بكعوَه كَرَنْكوُ التي نقلت العاصمة إلى المكان الحالي وسمتها باسم ولية عهدها المسماة زاريا وعرفت المدينة باسمها حتى اليوم.

ولما ماتت الملكة خلفتها زاريا وفي أيام دولتها قامت أختها المسماة «مدينة» بفتوحات واسعة النطاق امتدت جنوبًا حتى المحيط واكتسحت فيها

(١) وتعرف أيضًا بمدينة زَاوْزَاوْ.

بلاد هوسا ونوفى ويوربا وخلفت في كل بقعة منها آثارها التي تنطق عن جلالتها وسلطنتها.

ولقد لعبت بلاد زكزك دورًا هامًا في التاريخ القديم بين دول هوسا السبع وكان ابتداء الدولة الفودوية الفلانية بها حوالي ١٨٠٤م.

وأول من تولى الإمارة بها تحت السيطرة الفودوية هو معلم موسى واقتصرت الإمارة في أسرته وبلغوا حتى الآن نحو سبعة عشر أميرًا ولقد نشطت الحركة الأدبية بزاريا في القرن الماضي وازدحمت مدارسها بالطلاب الذين برعوا في قواعد اللغة العربية واختاروا للمنتهين في العلم زيًا خاصًا يتميزون به عن المبتدئين والمتوسطين على غرار الزي الجامعي الحالي، وقد ترك علماؤها مؤلفات جليلة في شتى الموضوعات.

«زانفراه»:

اسم مملكة قديمة واقعة شرقي بلاد سوكوتو الحاضرة أول ملوكها دوما من أسرة بايجيده وكانت إحدى مدنها تدعى مَغَرَه وعاصمتها دوتسي ثم زنفراه وفي سنة ١٧٦٤م هاجمها بعض البرابرة المعروفون بغوبر وجعلوا عاصمتها كيَاوي. قويت شوكة غوبر حتى هابت شوكتها جميع الممالك المجاورة. وَقلعتها التي تدعى القلاوي من أعظم القلاع المنيعة. وفي عهد ملكها باو ثم ينفَا قامت حركة الإصلاح الفودوية من بلاد غوبر حتى اكتسحت بلاد هوسا كلها.

«سوكوتو»:

هي مدينة الشيخ عثمان ومقر حكومته. اتخذها موطنًا له بعد هجرته من بلاد غوبر ولازمها حتى أيامه الأخيرة. وظلت قاعدة حكومته السياسية

حتى الاحتلال البريطاني حيث أنشأوا القاعدة الحاضرة في كدونا فصارت سوكوتو مقاطعة من جملة المقاطعات الشمالية .

أما مقاطعة سوكوتو فإنها تشمل بلاد زنفرة التي كانت إحدى الممالك الهوسوية القديمة والتي كانت عاصمتها كياوى ومنها انتقلت العاصمة إلى سوكوتو ولما احتل الإنجليز بلاد الشمال فقدت سوكوتو نفوذها وضاع منها مجدها وبهاؤها إلا في صفحات التاريخ ولا يزال سلطانها يحمل لقب أمير المؤمنين ويتمتع بالشرف الروحي التقليدي بين أمراء الشمال وأضاف إلى شرف هذا الأمير كون رئيس وزراء شمال نيجيريا من أهل بيته .

«كبى»:

إحدي المدن القديمة بشمال نيجيريا وقد ارتسمت باسم أول من سكنها وكان من أهل سنغى وزوجته من أهل كاتسنه .

ولقد دخلت في ميدان السياسة والتاريخ ١٥٠٠م بظهور ملكها المسمى كنتا البطل العظيم الذي قام بفتوحات اكتسحت بلاد كاتسنه وكنو وغوبر وزكزك ونوفى وسنغى وأزبن وآهير وجعل قاعدة ملكه في بلاد سورمي ولقد بناها بالقرب من مدينة سو كوتو الحاضرة كما بنى قلعته المسماة غنغوا بالقرب من مدينة زاريا .

ويقال أنه لما أراد أن يبني هذه القلعة افتقد الماء ولم يجد إلا على بعد ميلين من مكان القلعة .

فعمد إلى عشرة آلاف من أسراه ورتبهم على طول الطريق ثم أمرهم بتناقل الماء يداً إلى يد حتى القلعة كما كلف كل قبيلة ببناء جزء معين من

القلعة وتخلفت قبيلة نوفى عن القيام بسهمها وعاقبها بتحريم الماء وكلفها أن تبني قسمها بسمن أبقار أهلها بدلا من الماء ولم تجد القبيلة المسكينة بدًا من تنفيذ هذا الأمر القاسي والانقياد لهذه اليد الحديدية .

ولما ضاق سلطان آهير بقساوة كنتا استغاث عليه بالماي علي سلطان برنو للتحرر من نيره فخرج الماي علي من برنو عبر بلاد كاتسنه ودوره وانضم إلى جيشه عدد كبير من أهل تلك البلاد فلم يقو كنتا على مجابهة هذا الجيش العظيم فالتجأ إلى حصنه فحاصره سلطان برنو ولما طال الحصار ولم يستطع فتح الحصن رفع عنه الحصار وقفل راجعًا بجيشه إلى بلاده .

فاقتفى أثره كنتا بجيش عرمرم جرار وباغته في مدينة إنغرو فهزم جيوشه وغنم أموالهم وأسلحتهم ففر سلطان برنو إلى بلاده بالبقية الباقية من جيشه .

وفي طريق رجوع كنتا إلى كبى هاجمه بعض أعدائه على غرة منه وأصيب برمية سهم لقي منها حتفه فحملوا جثته إلى بلاده ودفن في عاصمة مملكته وخلف أسرته وأعوانه يحافظون على دولته نحو مائة عام وهم يحملون لقب كنتا ولما تدهورت للانحطاط قام عليها سلطان غوبر محمد ابن شروم وسلطان آهير وسلطان زنفره واقتسموا بلاده فيما بينهم حوالي ١٦٠٠م وتتوزع بلاد كبى الآن بين إمارتي غندو وسوكوتو .

«كاتسنه»

اسم زوجة الرجل الذي أسس هذه المدينة ويدعى جنز ما ولا ندري لماذا اشتهرت باسم الزوجة دون الزوج .

وقد تكون شعب كاتسنه من البول والبرابرة والونغارة والتوارك ولقد تحضرت وتمدنت بازدهار سوقها الكبيرة التي ترتادها القوافل من بلاد العرب والبربر وبرنو وسنغى وغيرها حتى صار لكل هذه البلاد فيها شوارع وأحياء.

وقد حملت نضارتها مدينة كانو على تحسيدها ومنافستها حتى قامت بينهما حروب دامية استمرت مائة عام سجالا.

وأول ملوكها هو المسمى كُمايو من أحفاد بايجيده السالف الذكر وقد دامت الدولة في أسرته مئات السنين.

وفي ١٤٥٠ قام رجل يدعى كواره من غربي كاتسنه وهاجم مليكها المسمى ساناه أو صلاح وأغتاله بالسيف الذي لا يزال محتفظًا به في متحفهم هناك حتى الآن فبذلك سقطت أسرة بايجيد وقامت مقامها أسرة كوراه.

الإسلام في كاتسنه:

لسنا نعرف بالحقيقة تاريخ دخول الإسلام إلى مدينة كاتسنه ولكن الثابت المتفق عليه أن أهلها قدماء الإسلام وعلى أيديهم انتشر الإسلام إلى كنو وغيرها ولقد أسلموا على أيدي التجار الوافدين إليها من الونغارة والعرب والبرابرة.

وخرج أهلها في طلب العلم إلى تمبكتو وتونس ومصر ورجعوا إلى بلادهم وأسسوا بها مدارس عالية بلغت مستوى الجامعات القديمة ونبغ فيهم عدد كبير من الفقهاء والأدباء خلفوا من التراث الأدبي ما يدل على نبوغهم ووفرة علمهم منهم الشيخ عبد الله ثقة وابن الضباغ وابن مسنى ومحمد مود

ابن محمد الذين تركوا مؤلفات ناضجة تنطق عن علمهم بحق وإليك مقتطفات من أشعارهم الطويلة الكثيرة. ولابن ضباغ في فضل العلم:

«العلم نور الله كالإيمان ينقصه بلعبة الصبيان
العلم روض الله كالبستان أشجاره كثيرة الأفنان
أثماره تطيب باللسان من ذاقه يرقى إلى الكيوان»

ولمحمد مود بن محمد في كتابه صرف العنان في ١٢١ بيتًا:

«أن الحسود أخبث البرايا نيط به أكثفه الرزايا
من أجهل الناس سوى الحسود يغضب من قضية الودود
تزيد من حسدته شرافه ثم إلى نفسك السرافه
وللحسود فتنة شديدة وذالة ونقمة مديده
متى رأى نزول غيث الرحمة تصبه غشية تزيل لحمة»

ولقد دخل كاتسنه للتدريس في مدارسها كثير من اعلام الإسلام من علماء العرب والبربر ومن علماء مالي وغانة، وقد زارها الإمام السيوطي المعروف ومكث بها مدة للتدريس كما دخلها الإمام المغيلي التلمساني وتولى الإمامة والقضاء بها سنة ١٤٩٣م وفي هذه الأثناء قام امبراطور سنغي محمد أسكيا بهجمات على بلاد هوسا، اكتسحت كنو وكاتسنه وأغدس وأدرجها في امبراطوريته حقبة من الزمان وأحيى بها آثار العلم والإسلام وبنى الجوا مع والمدارس ثم قامت بعد ذلك قبيلة قرارفا بهجماتها على بلاد هوسا وحاصرت كاتسنه مدة من الز من واستعصى عليها حصنها ويقال أن

البلاء وقع على الجيش المحاصر بدعاء أحد مشايخ كاتسنه المسمى ابن مسنى فمات فيها قائدهم فانهز م الجيش وآبوا بالفشل.

«مدينة كانو»:

أشهر بلاد هوسا القد يمة والحديثة وأغناها وأوسعها وأرقاها ويرجع تاريخها إلى عهد بعيد مختلف فيه.

إذ من المؤرخين من يعيد ه إلى ما قبل المسيح ومنهم من يقف به على عتبة فجر الإسلام. وكذلك يختلفون في ابتداء دولها وملوكها هل يرجع ذلك إلى ٢٠٨ أو إلى ٣٣٠ أو إلى ٤٤٤ من الهجرة أو ١٠٠٠ ميلادية كما يختلفون في سكانها الأولين هل هم البرابر ة الحدادون الذ ين نزلوا حول جبل دالا حيث يصنعون بها الحديد وآلات الحرب والزراعة؟ أم هم النوبة الذين نزلوا بها على قصد الاصطياد ثم لحق بهم الآخرون مزارعون ممن هاجروا من شمال أفريقيا عبر الصحراء الكبرى فتكونت بهم قرية متوسطة السكان.

ثم حدث أن وقعت مجاعة عظيمة في القرى المجاورة لكانو فانحاز الناس إليها لما فيها من الخصب والرخاء والبركة والسلام.

وكان أهل كانو هملا من راع يسوسهم ولما آل عرش دوراه إلى باوين بايزيد أوفد إليها كبير أبنائه المسمى بغودًا مع جملة من العبيد والإماء فبدأت بها هيئة ملكية وتعاقبت أسرته في المملكة حتى بلغ عددهم ثمانية عشر ملكًا في مدة تقرب من أربعمائة سنة وانقرضوا في آخر سنة (٨٢٨) ثم قامت الأسرة الرنفاوية وبلغ عدد ملوكها تسعة وتقدر مدتهم بنحو مائة وأربعين عامًا وأولهم محمد رُنْفا الذي يعد من أعظم ملوك كنو وكان عهده أزهى

العصور الكنوية وهو الذي بنى القصور والحصون والأسوار وجدد بناء الجامع ووسع رحابه حتى صار يضم نحو خمسة آلاف مصلٍّ.

وفي عصره حضر الشيخ محمد المغيلي إلى كانو ومكث بها مدة تولى فيها القضاء والامامة وتزوج بها وخلف ثلاثة أولاد وهم أحمد وعيسى والسيد الأبيض وكذلك حضر الشيخ عبد الرحمن الزناتي والجلال السيوطي وغيرهم من الأعلام.

وبالجملة كان عصره عصر النور والعلم والثقافة والمدنية والتجارة وفي زمن محمد كزولى الملك الثاني من أسرته استولى محمد أسكيا على كنو مع سائر بلاد هوسا ١٥١٣م وانقرضت الدولة الرنفاوية على رأس سنةالف وعشرين من الهجرة وفي آخر أيامهم هاجم كنو قبيلة قرارفا وأوسعوا أهلها قتلا وتدميراً حتى اضطر الكنويون إلى مغادرة بلادهم هاربين منها إلى دوراه ولكن المهاجمين لم يلبثوا أن رجعوا إلى بلادهم فعاد الكنويون إلى موطنهم.

ثم قامت الأسرة الألولية وعدد ملوكها خمسة عشر ملكًا وعاشوا مائتي عام ثم قامت الأسرة الفلانية وكان ابتداء ذلك سنة ١٢١٩هـ.

«الإسلام في كنو»:

لقد دخل الإسلام إلى كنو سنة ١٣٠٠م في عهد الملك عثمان زمَنقَاوىَ الملك الحادي عشر من الأسرة الغوداوية على أيدي العلماء الونغاريين الغانويين الذين حضروا إلى كنو وبشروا بالإسلام للملك وأسلم فأسلم معه كثيرون ثم ازداد الإسلام قوة في عهد الملك كَنجيج وفي عهد ابنه عمر الذي أحب الإسلام والعلماء وقربهم إليه وتعلم القرآن والحديث والفقه وعمل

على نشر العلم وأغدق على أهله الرزق وشجعهم على طلبه والإقبال عليه والتبحر فيه وهو الذي سبق محمد رنفا في ذلك كله.

«غوبر»

اسم للقبيلة وبلادها معًا أصلهم من الأقباط الذين هاجروا من مصر إلى هذه البلاد عن طريق الصحراء الكبرى حتى واحات بلاد آهير وأزبن وسكنوها ردحًا من الزمن، ثم هاجمهم التوارك وأجلوهم مما كانوا فيه ففروا إلى هذا المكان وقاتلوا ملوكه من أسرة ابايجيد وطاردوهم واحتلوا مكانهم وأسسوا بها دولتهم الغوبرية التي قويت شوكتها حتى خافها الملوك المجاورون.

حيث قاموا بفتوحات واسعة اجتاحت أرض زبرما وغرما وكنو وكاتسنه وز نفرة وغيرها وامتد نفوذ هم إلى بلاد يوربا حتى صاروا يطلقون اسمهم على أهل بلاد هوسا كلها.

واليوربويون حتى اليوم لا يعرفون للهوسا اسما سوى غَنبرى وهو تحريف الغوبري.

ولقد بلغ عدد ملوك غوبر ثلاثة عشر ملكًا قبل سقوطهم تحت لواء ابن فودي.

«قَورارَفا»

وتسمى جوكن وهي قبيلة تسكن الآن حول نهر بنوى ويقال أنهم نز حوا من أعالي مصر حوالي القرن الرابع عشر وقاموا بفتوحاتهم في بلاد هوسا واستولوا على كنو وكاتسنه وز اريا وهاجموا بلاد برنو وهدموا حصونها ودمروا كثيراً من بلادها ووضع التوار ك حدًا لنفوذهم حوالى القرن الخامس عشر ولكنهم رغم ذلك حافظوا على ما في أيديهم من الأرَا ضي والبلاد

مئات السنين وانتقلوا من عدة عوا صم إلى أخرى حتى استقر بهم القرار في مد ينة أوكاري فانكسرت شوكتهم بقيام دولة ابن فودي .

«لاغوس»:

اسم اطلقه البرتغاليون على المدينة المعروفة عند أهلها بمد ينة إيُكُوْ وقد سميت بلاغوس نظراً لكونها تقع على جزيرة من بحيرة مفرطحة .

والمدينة أسسها جماعة نزح بعضهم من قرية إشَيْرى وبعضهم من مدينة عوتا وآخرون منهم من مدينة بنين .

وقد رست في لا غوس أول باخرة برتغالية سنة ١٤٨٢م ولم يعرفها الانكليز إلا في سنة ١٥٥٣م فصاروا يقصدونها لتجارة الرقيق وحاصلات أفريقيا حتى صارت لاغوس سوقًا كبيراً للاوروبيين جميعًا .

وفي سنة ١٨٤١م بعثت الحكومة البريطانية ١٤٥ رجلاً بحريًا إلى لوكوجا حيث يلتقى نهر بَينوُي بنهر النيجر واتخذها الانكليز قاعدة للتفاهم مع الملوك والأمراء في إيقاف النخاسة فأصيب عدد كبير من الوفد بالحمى فماتوا . ثم لم يزل الانكليز يرسلون البعثات الواحدة تلو الآخرى حتى سنة ١٨٤٩م حيث عينوا جون بيقروفت حاكمًا رسميًا وسفيراً لإصلاح ذات بين التجار والملوك المتنازعين فيما بينهم ولمحاولة إيقاف النخاسة فامتنع الملوك والرؤساء من قبول هذا الشرط فوقع الخلاف بينهم وبين بيقروفت وفي لاغوس حيث يتنازع الإخوان على العرش وهما أكنتويي وكوسوكو وللأول حق على أخيه فقام الأخير سنة ١٨٥١م واغتصب العرش من صاحبه وطرده إلى مد ينة بداغري وكان جائراً قاسي القلب يحكم البلاد بيد من حديد وأبغضه الشعب فانتهز بيقروفت هذه الفرصة وتدخل فى الأمر

ولم يذعن كوسوكو إ لا بالقوة حيث حمل عليه بيقروفت حملة بحرية عنيفة فقهره وأتى بالملك السابق من منفاه بعد أن عقد معه معاهدة تتضمن إيقاف النخاسة وفتح أبواب البلاد على المبشرين المرسلين والمستعمرين.

فعمل أكنتويي على مقتضى هذه المعاهدة إلى أن مات وخلفه ابنه المسمى دوسمو الذي أبى أن يعمل بموجب المعاهدة.

فعندئذ انتزع جون بيقروفت مدينة لا غوس من يد دوسمو فجعلها مستعمرة تحت إدارة قنصل ثم مندوب ثم حاكم بريطاني.

موجز تاريخ لا غوس

لقد تأسست قرية «إشَيْرى» على بعد عشرين ميلا من لا غوس سنة ١٦٩٩م ومؤسسها رجل من إليفى كان يصطاد السمك على ضفة النهر الموجود هناك فتلاحق به الآخرون وتجمعوا وتكاثروا ثم نزح منهم بعضهم إلى قرية عوتا وأقاموا بها وتوجه البعض إلى إبُوتى مَيْتا سنة ١٧٩٣م وسكنوها. وقام بعض الغزاة بشن الغارات عليهم فهربوا منها وانتقلوا إلى «إدو» وهو المكان الذي أصبح الآن محطة لاغوس للسكة الحديدية فوجدوا بها رجلاً يصيد السمك في شواطىء لاغوس ويزرع في جزيرتها ولما نزلوا عليه واستطابوا المكوث معه سمع بهم آخرون من بنين وغيرها فانضموا اليهم فعظم بذلك عددهم.

فدب الخلاف بين هؤلاء الناس وبين امرأة غنية كانت مسموعة القول مرموقة المقام فاتسع خرق الخلاف إلى أن ذهبت المرأة إلى مدينة بنين تستغيث بملكها فأرسل الملك معها جنوداً وراء جنود تهاجم بها مدينة إدو

غير أنها لم تستسلم إلا بعد مقاومة طويلة تحت قيادة زعيمها المسمى أولَوفنْ فأصبحت لا غوس بعد ذلك تابعة لمدينة بنين تؤدي إليها الضر ائب السنوية ثم انتقلوا من إدو إلى لاغوس الحاضرة فبنوا بها قصر الولاية فبارك الله فيها حتى صارت العا صمة .

«لُوكُوْجَا»

اسم بلدة كانت بملتقى نهري النيجر وبنوي يسكنها الآن قبائل نوفى واغبره وهوسا وهي أول ثغر رست به سفن المكتشفين الأوروبيين بنيجيريا وقد سكنها الحكام الأولون من تجار الانكليز وقناصلهم قبل أن تضم نيجيريا إلى مستعمرات بريطانية .

وفي لو كوجا رفرف العَلَم البريطاني لأول وهلة على سماء هذه البلاد ولما انتقل منها الحكام ونزل بعضهم بلا غوس وبعضهم بزنغبر وكدونا جعلها الانكليز منفى المناوئين لهم والمخالفين لأمرهم فمات بها معظم الأحرار والأبطال الذ ين وقفوا في وجه الانكليز فكانوا شهداء .

«موداكيكي»

مد ينة قرب إليفى على بعد ميل واحد أسسها اللا جئون اليرباويون المغلوبون على أمرهم من شن غارات الجنود الفلانيين الذ ين تعسكروا بمدينة إلورن ولما ضاقت الأرض برحبها على أهالي بلاد عويو وما حولها هاجروا منها ونزلوا على إخوانهم في مد ينة إليفى ولما بدأ المواطنون يعاملونهم بالقساوة ويذ يقونهم ألوان المهان طلبوا إلى بعض أمراء إليفى الإذن في أن يعتزلوهم ويستقلوا في مد ينة لهم خاصة .

بلدة يسكنها قبائل إيبو وقد دخلها المبشرون الكاثوليك من البرتغال ١٥٢٠م بعد أن طوردوا من مدينة بنين وقابلهم ملكها بحفاوة لأنه قد تعلم الإسبانية ببلاد أنغولا قبل أن يصير ملكًا وتزوج هذا الملك بأ مرأة برتغالية بمساعدة المبشرين توسلاً بها إلى تثبيت أقدام المبشرين بها ولكنهم لم يلبثوا أن رجعوا لعدم ملاءمة الجو مزاجهم.

المدن الهامة وعدد سكانها

بالشرق		بالشمال		بالغرب	
أبا	٥٧,٧٨٧	أوفا	٢٠,٦٦٨	أبيكوتا	٨٤,٥٥١
أبونيما	١١,٠٩٢	الورن	٤٣,٥٠٠	أدو	٢٤,٦٤٦
أكو	٢٠,٨٠٩	أنغرو	٢٣,٠٨٤	أكوري	٣٨,٨٥٣
أوكا	١١,٢٤٣	أوكيني	٣٢,٦٠٨	إبادن	٤٥٩,١٩٦
أينوغن	٨٢,٧٦٤	بده	٢٠,٠٠٠	إيدي	٤٤,٨٠٨
إيها أموفو	٢٩,٤٣٤	جوس	٣٨,٥٢٧	إجبو أودي	٢٧,٥٥٨
أورن	١٣,٦٤١	زاريا	٥٣,٩٧٤	إكري	٣٥,٥٨٤
أونتشا	٧٦,٩٢١	سوكوتو	٥٥,١٠٠	إكرن	٣٦,٠٠٥
أوركا	١٦,٦٧١	غوساو	٤٠,٢١٢	إليشا	٧٢,٠٢٩
أوغوتا	١٤,٧٦١	كادونا	٤٦,٥١٠	إسين	٤٩,٦٨٠
أهيالا	٢٤,٢٩٠	كانو	١٣٥,٠٠٠	عويو	٧٢,١٣٣
بوغوما	١٤,٦٠٩	كاتسنه	٥٦,٠٠٠	أوو	٣٠,٦٦٢
بوتاكوت	١٧,٥٦٧	يروا	٥٤,٦٤٦	أويومشو	١٣٩,٥٣٥
كلاير	٤٦,٧٠٥			أوندو	٣٦,٢٣٣

	بالغرب	
هذه الأرقام قديمة لأنها مستقاة من أحصاء سنة ١٩٥٢ وينتظر الأحصاء الجديد قريبا	أوشوبو	١٢٢,٧٢٨
	شاغمو	٣٠,٠٩٩
	شاكي	٢٢,٩٨٣
	بنين	٥٣,٧٥٣

«التبشير الميسحي»:

لقد وطئت أقدام المبشرين البرتغاليين أرض نيجيريا لأول مرة ١٤٧٢م ونزلوا بمدينتي بنى وواري وبنوا فيها مدارسهم وكنائسهم بمساعدة ملكها وبقيت آثارهم بمد ينة بنى حتى منتصف القرن التاسع عشر .

ثم بدأت عملية التبشير بصورة جدية على أيدي المر سلين من الانكليز الذين نزلوا أولاً بمد ينة بداغري ١٨٤١م ثم تغلغلوا إلى داخل البلاد وهبطوا إلى أبيكوتا وكلابر ١٨٤٦م ثم تبعهم جمعية الكنائس التبشيرية S.M.C التي اتخذت مركزها بأبيكوتا وبداغري .

ثم تتابعت موجات البعثات التبشيرية من إنجلترا وأميركا وخصوصًا من سيراليون التي تمركزت فيها كلية تبشيرية تدعى كلية فورابي التي قامت بإمداد نيجيريا بالمبشرين المتخرجين منها .

وأول من أرسلوه من سيراليون إلى نيجيريا هو صمويل أجاي كراودر الذي تحرر مع جملة من العبيد المجلوبين إلى أوربا من نيجيريا .

ولقد أرسلوه بصفه أسقف وأنفق في سبيل التبشير المسيحي كل مرتخص وغال وأسس عدة مدارس وكنائس ومكتبات .

ولقد تمركز المبشرون أولاً بأبيكوتا وصارلهم مكان مرموق بين رجال السلطة المحلية وبدأوا في إصدار جريدتهم المسماة بصحيفة الأخبار وكادوا يقبضون على زمام الحكم كله لولا أن تفطن بعض العقلاء لهذا الخطر التبشيري المحدق بهم فأجلوهم منها إلى لا غوس سنة ١٨٩١م فأصبحت بفضل كونها العاصمة أكبر مراكز التبشير وأهمها في هذه البلاد.

على أن الحكومة الإنجليزية تعمل جنبًا لجنب مع الهيئات التبشيرية بحيث تمهد إحداهما الأسباب للأخرى كاليدين تغسل إحداهما الأخرى واستطاع التبشير أن يصيد بشبكاته كثيراً من القبائل الوثنية بالمقاطعات الجنوبية التي لم يعتنق أهلها الإسلام.

كما استطاع بقوة دعايته الواسعة العريضة أن يقتنص الشباب الغمر من بعض أبناء المسلمين الجنوبيين، ولكن صلابة إيمان الشماليين وتمسكهم الشديد بتقاليدهم وعقائدهم أوصد على التبشير أبواب الدخول إلى أراضيهم والتمكن من أهلها على الرغم من الدعايات المبذولة عن طريق المدارس والمستشفيات والمكتبات وجميع المغريات التي تغص بها مقاطعات الشمال في كانو وزاريا وجوس وسائر المقاطعات لا جتذاب الأذهان واسترعاء الأنتباه.

وقد اتخذ التبشير المدارس مرصاداً لاقتناص أبناء المسلمين وقلب الحقائق الإسلامية إلى أباطيل وتفقد المطاعن في تقاليد الإسلام والمسلمين بالحق والباطل.

وبالأسف المرير نرى تجمد مسلمي نيجيريا على العادات الجاهلية تساعد التبشير في الاتساع والانتشار.

ومن تلك العادات المتعفنة السجود وخلع النعال للتحية ونحو ذلك مما أعتبروه تواضعًا أو التسول والتوكل وقلب مفاهيم الشريعة عن مبادئها ومقاصدها ونحو ذلك مما اعتبروه إيمانًا أو تصوفًا أو آدابًا سامية.

ومن هذا القبيل حادثة أليمة يكاد يذوب منها قلب المسلم الغيور لأنها حادثة تشوه جبين الإسلام المليح وتسيء إلى سمعته الطيبة.

ذلك ما حدث ١٩٥٩م في إمارة كنو أن موظفًا بادارة السلطات المحلية ارتد عن الإسلام وأعلن اعتناقه للمسيحية من جراء موت زميله في الوظيفة فما عتم الأمير أن أغتصب تركة الميت من ورثته الشرعيين محتجًا بأن الميت عبده والعبد وما يملك ملك لسيده في حياته وبعد مماته فاستفتى الزميل علماء البلد فأقروا فعل الأمير باسم الإسلا م فخرج بذلك من الإسلا م فرارًا من تطبيق هذه الشريعة عليه.

وهكذا يظلم الناس الإسلام على حساب الإسلام ويفتحون باب الكفر على مصراعيه للمرتدين مع أن الإسلام لم يشرع الاستعباد إلا في زمن الحرب ولم يأ مر إلا بتحرير العبيد من ربقة العبودية في كفارات الذنوب والجرائم كما شرع ذلك في الظهار والإفطار عمدًا والأيمان والمكاتبة وصرف الز كاة وغيرها اللهم أصلح الإمام والأمة والراعي والرعية.

«التجارة»:

لقد كانت التجارة بين بلاد هوسا وبلاد يوربا قديمة حيث يتبادل الطرفان حاصلات بلادهما من الفلفل والكسبرة والكولا «الطنبول» التي تنوب عند الهوسا مناب القهوة والدخينة عند العرب، كل هذا من جانب يوربا

ويستوردون السبخة والكبريت والجلود المدبغة والمنسوجات الحريرية والأنعام من جانب هوسا، وكان المتاجرون يسيرون في قوافل عظيمة تحت حراسة خفراء مدججين بالأسلحة الحديدية والنارية التي يدفعون بها عن انفسهم الغارات والهجمات التي تفاجئهم أحيانًا في أثناء سيرهم من قطاع الطريق والمحاربين المتلصصين، هذا من الناحية الداخلية.

أما الناحية الخارجية فلقد كانت بين شمال نيجيريا وبين شمال أفريقيا تجارات واسعة النطاق كما كانت بين شمال نيجيريا وبين مصر والحبشة منذ حوالي مائة وخمسين عامًا قبل الميلاد (١).

ولقد كان العرب يأتون إلى هذه البلاد بالمنسوجات الصوفية والحريرية والجلود المدبغة والملح والنحاس والأسورة والخرز والودع والسيوف والرماح(٢).

وفي القرن الخامس عشر ابتدأ البرتغاليون التجارة مع أهل بنى وتبعهم الهولنديون والأسبانيون ثم لحق بهم الأنجليز ولم ينجحوا إلا في سنة ١٥٨٨م وكانت تجارتهم في البدء مقصورة على العاج والعبيد والفلفل وزيت النخيل لقاء ما يأتون به من أدوات حربية كالبارود والبنادق والخناجر والمحاريث.

وكانت الشركات التجارية في البداية حرة مستقلة ثم رأت حكومتها أن تحاميها وتراعيها وتعطيها امتيازات تجعل مديريها حكامًا حقيقيين للبلاد التي يتاجرون فيها فكان لهم حق الدفاع عن أنفسهم وأموالهم بالقوة المسلحة

(1) A visuai history ot Nigeris.

(٢) كتاب فريدة العجائب لابن الوردي ص ٥٨.

وحق إعلان الحرب باسم حكومتهم وحق عقد المعاهدات المختلفة مع ملوك البلاد ولما بدأ الأسبان والبرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والإنجليز يتنازعون علي إنشاء الأسواق بشواطىء أفريقيا أوقف كل منهم أساطيل حربية يثير بها بعضهم غبار الحرب على الآخر .

عقد من جراء هذه المنازعات مؤتمر في برلين سنة ١٨٨٤م اشترك فيه سائر الدول المعنية بالأمر للاتفاق على تقسيم غرب أفريقيا فيما بينهم فوقعت نيجيريا ضمن ما وقعت تحت قبضة الإنجليز فأسرعوا بإعلان حمايتهم عليها .

وفي سنة ١٨٨٦م تحولت الشركة التاجرة بنيجيريا إلى شركة نيجيريا الملكية أذنت لها الحكومة البريطانية بالسيادة الكاملة والنفوذ التام على أرض نيجيريا فصارت الشركة نائبة عن الحكومة مرجعها مكتب المستعمرات بلندن .

وفي سنة ١٩٠٠م أرسلت الحكومة البريطانية رجلاً اسمه لوغاد كمندوب سام ثم حاكم عام عن الدولة في نيجيريا .

فاستلم الحكم والإدارة من الشركة التي استأنفت بدورها أعمال تجارتها الحقيقية ثم أسست بها عدة شركات من فرنسا والمانيا وهولنده ولا يخفى أن أهم سلع التجارة الأوروبية في هذه البلاد هي النخاسة ولما ألغيت أصبحت المطاط والكاكو وزيت النخيل والأخشاب أهم صادرات الجنوب كما أن الفول السوداني والجلود والقطن والأنعام أهم صادرات الشمال .

وتقدر قيمة هذه الصادرات كالآتى :

	١٩٣٨		١٩٥٣	
	كمية	قيمة	كمية	قيمة
	ط	ج	ط	ج
بذر النخيل	٣١٢,٠٤٨	٢,١٦٨,٣٦٣	٤٠٣,٠٠٠	٢٢,١٨٥,٠٠٠
زيت النخيل	١١٠,٢٤٣	٩٨١,٣٣٠	٢٠١,٠٠٠	١٢,٩٨٠,٠٠٠
الفول	١٨٠,١٣٦	١,٣٠٥,٨٢٨	٣٣٧,٠٠٠	٢٤,٩٢٨,٠٠٠
الكاكاو	٩٧,١٠٠	١,٥٦٦,٦٨٤	١٠٥,٠٠٠	٢٤,٨٥٨,٠٠٠
القطن	٥٥,٧٢٩	٢٤٦,٨٥٦	١٨,٠٠٠	٥٥٨,٠٠٠
المطاط	٣,١٣٥	١٣٥,٧٩٧	٢١,٣٠٠	٣,٣٢١,٠٠٠
الجلود	٥,٨٤٥	٥١٥,٧٨٨	٩,٠٠٠	٣,٣٦٣,٠٠٠

أوردنا هذا النموذج على طريق المثال ليكون القارىء على علم ما من أوضاع التجارة في نيجيريا .

واكتفينا بما سوى هذه الأرقام لأنخفاض قيم الصادرات وارتفاع قيم الواردات بعد الاستقلال وقبله بقليل بفعل تلاعب الحكام المواطنين بالاقتصاد الوطني خصوصاً في الجنوب .

«التعليم»:

إن الكتابة والقراء ة والحساب هي الوسائل التي نتوصل بها إلى غابات العلوم والفنون وهي أهم المواد الاساسية لبناء المعارف الأدبية والفلسفية

والصناعية ولا يعتبر مجرد الكتابة والقراءة والحساب غاية التعليم إلا في الأمم البدائية وبظهور الإسلام في نيجيريا ابتدأ تعليم الكتابة والقراءة ومبادىء الحساب.

أما الحساب فكان علماء نيجيريا يحتكرونه ويحرمون العامة من تعلمه ولا يعلمونهم إلا بمقابل أموال طائلة لأنهم يعدونه جزءًا من علم الفلك؛ والتنجيم الذي يتكسبون به ويتلخص الحساب عندهم في الرموز الآتية وهي: ابْجَدْ هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ ولهم في ترتيب الأعداد رموز أخرى وهي:

إيقغ بكر جلش د مت هنت وسخ زعذ حفض طصظ.

وعندهم أيضًا رموز لجدول الضرب وهي:

ببد بجو بدح بهي بوبى بزدى بحوى بطحى بيك، جججت جدبى جههي جوحى جزأك جحدك جطزك جيل، ددوي دهك دودك دزحك دحبل دطول ديم، ههـهك هول هزهل هحم هطهم هين، ووول وزيم وحـحم وطدن ويس، ززطم زحون زطجس زيع، ححدس حطبع حيف ططأف طيص ييق.

هذه هي خلاصة ما يتعلمون من الحساب أو هي الرحى التي يدور عليها حسابهم وقد امتد إلى نيجيريا من المغرب العربي علي هذا الأسلوب وانتشر الحساب عن كثب بفعل انتشار التعليم الأنكليزي.

أما القراءة والكتابة فكانتا تتعلمان مع القرآن في المدارس القرآنية التي يرتادها أطفال المسلمين ليدرسوا كلام ربهم وليستظهروه إلي جانب

ما يضيفون إليه من معرفة فروض الدين الإسلامي من عقائد وعبادات ثم يندمج من شاء منهم بعد ذلك في ميدان الحياة الصناعي أو التجاري وهم الاكثرون أو يلتحق من شاء منهم بمدارس العلوم ليتنور بالثقافة الإسلامية التي تعتمد على تفسير القرآن والحديث والفلسفة والعقائد التوحيدية وليتهذب فيها بالثقافة العربية التي تقوم على قواعد النحو والصرف والشعر العربي وعلوم النقد والتاريخ والفلك والمنطق ويقل الذين يثابرون على التعليم حتى يصلوا إلى هذه الغاية.

ولما استغلظ الإسلام واستوى على سوقه وتأسست الدولة الإسلامية في شمال نيجيريا كثر سواد طلاب العلم واتسعت نطاق المدارس في مدنها الهامة أمثال كاشنه وبرنو وكنو وزاريا وارتقى بها التعليم حتى بلغ المستوى الجامعي القديم فصار المتخرجون منها يؤلفون في شتى الموضوعات الدينية والأدبية ولا يسع الواقف على تلك المؤلفات إلا أن يعترف ببراعتهم رغم كونهم أعاجم.

وقد كان هذا منذ القرن السابع الهجري حتى أواخر القرن الثالث عشر حيث بدأ ظل التعليم العربي يتقلص بنمو التعليم الإنكليزي غرس الاستعمار والتبشير فاحتلت اللغة الإنجليزية مكان العربية بعد أن مهدوا لتعلمها السبل والأسباب ورفعوا شأن من يعرفها في المجتمعات وأصبحت هي اللغة الرسمية في البيت والشارع والسوق والإدارة.

فمرض من ذلك التعليم العربي مرضًا خطيرًا كاد يقضي عليه فيبقى أثرًا بعد عين فظل المؤمنون يعالجونه حتى لا يموت فيقبر.

كما قامت محاولات كثيرة لإنهاضه من مرقده لدى كثير من المجاهدين المؤمنين وابتلى بعض هذه المحاولات بالاجهاض في حمله وبعضها بالاغتيال في مهده واحاط الله بعضه بحفظه وشمله برعايته حتى تحررت هذه البلاد من نير الاستعمار وكابوسه الذي جثم على صدور المجاهد ين المؤمنين ومن المحاولات التي أبقت على التعليم العربي رمق حياته في شمال نيجيريا هي مدرسة العلوم العربية التي أسسها أمراء المسلمين في مدينة كنو ١٩٣٤م لإحياء التراث العربي الإسلا مي في المقاطعات الشمالية ولقد ظلت هذه المدرسة من ذلك الحين شجرة طيبة تؤتي أكلها كل سنة بجهود العلماء العرب من السوادنيين والمصريين الذ ين غرسوها وتعهد وها ومن قبيل هذه المحاولات يعد مركز التعليم العربي الإسلامي الذي تأ سس في ابيكوتا ١٩٥٢م ثم نقل إلى أغيغى ١٩٥٥م ولقد نور الله بهذا المركز عقول كثير من أبناء المسلمين بالإقليم الغربي وفتح به قلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا وآذانًا صما ، وأعاد الله به إلى التعليم العربي كثيراً من الذ ين ارتدوا عنه أيام كساد سوقه نتيجة تآمر الاستعمار والتبشير في القضاء عليه بقذائف التعليم الإنكليزي .

وقد اندفع الآن كثير من المسلمين إلى التعليم العربي وإلى انشاء المدارس لها وإلى إرسال أبنائهم إلى البلاد العربية عن طريق المنح الدراسية التي تتقدم بها الدول العربية إلى نيجيريا فهذا من بوادر خيرات الاستقلال .

أما التعليم الإنكليزي فقد بدأ في نيجيريا منذ ١٨٤١م على أيدي المبشرين المسيحيين لغرس العقيدة النصرانية في النفوس الغضة وكانوا في بداية أمرهم يجمعون أ طفال القرى بآلات اللهو واللعب ويوزعون عليهم

الحلاوى والكساوى والكتب المصورة بالألوان الزاهية مما يسترعي الانتباه ويأخذ بمجامع القلوب.

وقد ابتنى المبشرون المدارس إلى جانب كنائسهم المتكاثرة في كل قرية وفي كل مدينة واليهم تنتمي أكثر مدارس نيجيريا الابتدائية والثانوية حتى سنة ١٩٥٠م.

وهناك بدأت المجالس البلدية والهيئات الإسلامية تؤسس مدارسها وتلك الهيئات الإسلامية هي الطائفة الأحمدية ثم جمعية انصار الدين وجمعية نوائر الدين والزمرة الإسلامية وانصار الإسلام وغيرها.

«التعليم العالي»:

وأول مدرسة عالية في نيجيريا هي كلية يابا الحكومية وقد أنشئت ١٩٣٤م ولقد لعبت دوراً هاماً قبل إنشاء الجامعات.

وأول جامعة بنيجيريا هى جامعة إبادن التى أنشئت سنة ١٩٤٨م وكانت مشتركة للمستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا.

ثم أسست حكومة شرق نيجيريا جامعة نيجيريا سنة ١٩٦٠م. ثم تبعتها جامعة إيفى التي أسستها حكومة غرب نيجيريا في نفس السنة.

ثم جامعة أحمد بللو بشمال نيجيريا التى أسست بزاريا سنة ١٩٦٢م وتلاحقت بها جامعة لا غوس في نفس السنة.

هكذا نرى حركة إنشاء المدارس قائمة على قدم وساق ومستوى التعليم في ازدياد مستمر حسب تطور البلاد في ادراج الاستقلال.

ولقد كان في نيجيريا كلها حتى السنة ١٩٥٧م من المدراس ما يبلغ

مجموعه ١٦,٧٠٨ ومن التلاميذ ما يبلغ عددهم ٢,٥٩٣,٠٠٩ وبيان تفصيل ذلك :

أن في لا غوس وحدها من عدد المدارس ١١٦ ومن التلاميذ ١٥٨ , ٥٥ .

وفي شرق نيجيريا	»	٧,٢٢٦	»	١,٢٣٣,٣٥٤
وفي غرب نيجيريا	»	٦,٩٦٣	»	١,٨٤٥,٢١٨
وفي شمال نيجيريا		١٩٩٥		٢١٢,٨٥٤

هذا ويفرض التعليم العربي نصيب ضئيل جداً في المدارس الشمالية الحكومية .

أما في الإقليم الغربي فيتعلم فيها بعض مبادىء الإسلام في المدارس التي تشرف عليها الهيئات الإسلامية .

«التماثيل الفنية»:

توجد في عدة أماكن من نيجيريا تماثيل نحتها القدماء من الأحجار الطباشيرية ومن الخزف والنحاس والخشب وكانوا يعبدونها ويقدسونها كسائر الوثنيين .

وقد حطم الإسلام كثيراً من هذه التماثيل في بلاد هوسا وجزءاً من بلاد يوربا ولكن آثارها لا تزال باقية ببعض البلاد كمقاطعات بوشي وجوس والقرى المجاورة لا لورن في الأقليم الشمالي .

كما توجد في مقاطعات إلفى وبني وغيرها من الأقليم الغربي وقد اعتنى بجمعها الاثريون وفتحوا لها متاحف في لاغوس وجوس وزاريا تنويها بمهارة النيجيريين القدماء في فن التصوير .

وقد توهم الذين عثروا على هذه التماثيل في مدينة بني ١٨٩٨م أنها من آثار البرتغاليين الذين نزلوا بها في القرن الخامس عشر.

ولكن الاكتشاف الآخير الذي فاجأهم في مدينة إلفى ١٩١٠م فند هذا الزعم اعتماداً على عدم اتصال البرتغاليين بمدينة إلفى وغيرها من الجهات التي عثرت فيها على التماثيل الفنية.

فثبت بعد ذلك أنها فن نيجيري قديم ولمن كان لا يزال مجهول الأصول ونحن نظن ظنا غير جازم أنها قد تكون راجعة إلى البرابرة والنوبة لانهما العنصران اللذان سكنا تلك البقاع في العصور القديمة.

«التواريخ الهامة»:

١٠٠٠م قامت ببلاد برنو مملكة إسلامية زاهية من أسرة سيف.

١٠٦٧م كتب البكر الإسبانى عن أمم ودول أفريقيا الغربية ومن بينها الدولة الكانمية.

١٤٠٠م زار ابن بطوطة أفريقيا الغربية ودخل مدينة أكدز ومالى.

١٤٠٠م هاجمت قبائل نوفي العاصمة اليوربوية في مدينة عويولي.

١٤٧٣م زار الإمام السيوطي مدينتي كنو وكشنه وأكدز.

١٤٧٦م تولى الإمام المغيلي القضاء بمدينة كنو في عهد السلطان محمد رنفا.

١٤٨٥م زار البرتغاليون مدينة بنى وعقدوا مع ملوكها معاهدة ودية.

١٥١٣م استولى محمد اسكيا على بلاد هوسا.

١٥٥٢م أرست أول باخرة انجليزية في بنى بقيادة كابتين ويندهام رتشاد .

١٧٩٦م كان اكتشاف مانغو بارك البحار البريطاني لنهر النيجر .

١٨٠٢م بدأ جهاد بن فودي مع ملوك هوسا المستبدين وبداية الامبراطورية الفلانية .

١٨٠٥م موت مانغو بارك في مد يمنة بوسا قبل إنجاز ا كتشافه .

١٨١٦م موت الشيخ عثمان بن فودي في سوكوتو بعد توطيد د ولته .

١٨٤٩م تعيين أول قنصل بريطاني في نيجيريا وهو المستر بيقروفت .

١٨٥١م القاء القنابل على لاغوس بناء على رفض سلطان كوسوكو المعاهدة البريطانية ثم فراره إلى بداغري ورجوع أكنتوبى إلى العرش .

١٨٦١م وقعت لا غوس تحت النفوذ البريطاني بموجب معاهدة دوسومو ملك لا غوس .

١٨٦٩م ابتدأت أعمال التجارة لشركة أفريقية المتحدة .

١٨٩١م تأسس البنك الأفريقي البريطاني في لا غوس .

١٨٩٦م تأسست المواصلات الحديدية بين لا غوس وأبيكوتا .

١٨٩٧م ثارت جيوش إلورن على الجيش البريطاني أيام الأمير سليمان .

١٩٠٠م ابتدأت حماية نيجيريا الشمالية وفتحت الخط الحديدي بين لاغوس وإباد ن .

١٩٠٦م أصبح الإقليم الجنوبي والشمالي لبريطانية وصارت لاغوس مستعمرة .

١٩١٣م قضى الجيش البريطاني على حكومة أبيكوتا الأهلية التي ثارت لمنع جباية الضرائب.

١٩١٤م استكملت القوة البريطانية استيلاءها على نيجيريا بأسرها.

١٩٢٠م تأسيس مجلس الشورى الحكومي.

١٩٤٩م وضع دستور نيجيريا السياسي.

١٩٥٦م حصول الأقليم الشمالي على الحكم الذاتي.

١٩٦٠م أعلن الاستقلال التام لنيجيريا الفيدرالية.

«التولية والتتويج»:

حفلة رسمية تقام عند تعيين أحد على منصب من مناصبهم الرسمية الكبرى والصغرى.

ومراسيم التولية عند الكفار تتم بتقاليد كفرية وأخلاق وحشية وبعد أن يفعل ذلك بحضور الأعيان ليلاً يأتي كاهن التولية بالتاج المصنوع من الخرز الصغار الملونة ويضعه على رأسه.

أما في العواصم الإسلامية فالتولية تكون بتعمم العمامة في حفلة رسمية.

«الثقافة»:

في الاصطلاح الحديث عبارة عن نضوج الفكر في الشئون كلها في الدين والأدب والإجتماع ونحو ذلك.

وللثقافة الإسلامية فرعان هما فرع الدين وفرع الأدب. فالثقافة الدينية تطهير الدين من الخرافات المتعلقة به من آثار الوثنية وإثبات حقيقة التدين بالبراهين النقلية المتواترة من أنبياء الله ورسله وإثبات جوهره بالبراهين العقلية التي تستنتج من المقدمات المنطقية الصحيحة.

فالثقافة الأدبية هي ما أنطبع بالفكر من آثار الشعر الخالد الرفيع والخطابة البليغة والكتابة الناضجة التي تخلق في الأنسان ملكة يقتدر بها على الإنشاء البديع المنسجم نثرًا كان أو نظمًا لقد تأثرت نيجيريا بهاتين الثقافتين الدينية والأدبية منذ مئات السنين.

أما الثقافة الدينية فقد انطبع علماء نيجيريا بالأسلام انطباعًا مكن فيهم فهم مقاصده وأغراضه وأهدافه ومطالبه فاستطاعوا بذلك أن ينفوا عنه الصدأ والزيف كلما يعرض ذلك للإسلام. لهذا نراهم يحاربون البدع والخرافات التي تتعلق به من رواسب الوثنية الأولى التي تلتصق به حتى من أيدي علمائه الذين لم يخلصوا لله الإيمان والعبادة اسمعوا ما يقول الشيخ محمد الوالي بن سليمان الذي عاش في القرن السابع الهجري حين يستنكر ما عليه بعض علماء زمانه:

من عذيري من أناس نجموا ... أفسدوا الدين وأبدوا كل ضر

تركوا علم الكتاب المنزل ... وحديثًا جابه هادي البشر

وعلوم الشرع والفقه التي ... تنفع المرء وتحميه الخطر

صرفوا الهم إلى مكسبهم ... لحطام زائل لايستقر

آثروا الدنيا على أخراهم ... لم يبالوا ما يؤديهم لضير

علم أوفاق رأوه حيلة ... لا كتساب المال والجاه المضر
جعلوه وصلة تدنيهم ... لبني الدنيا فآبوا بغرر
لقبوه علم سر كذبوا ... ما هو السر ولكن علم شر[1].
إنما السر علوم بثها ... أولياء الله أصحاب النظر
سلهم هل يعرفون حكم ما ... قد تعاطوه لدى أهل البصر
ولعمري هو د هليز الردى ... ولكفر قد يؤدي في العبر
ما ترى فيمن تقضى عمره ... في ارتصاده لشمس وقمر
يرتجي السؤل ودفع الضر من ... هذه الأشياء بئس المنتظر
ياعباد الله يا أهل التقى ... فابغضوهم واهجروهم بالهجر
أفسدوا الدين وأطفوا نوره ... هم عداة الدين في هذي العصر

أما الفرع الأدبي فلما دخل الإسلام إلى نيجيريا أزال عن أهلها الأمية والجهالة فصاروا في عداد الأمم الكاتبة القارئة وبالتالي ظهر فيهم علماء يؤلفون باللغة العربية مؤلفات نثرية وشعرية ناضجة في شتى الموضوعات الأدبية والدينية والاجتماعية.

والإنشاء الصحيح كما قدمنا لا يتأتى لمن لا يزال يتردد في اتقان مفردات اللغة وقواعدها اللفظية والمعنوية من نحو وصرف وبلاغة وسائر الفنون التي

(١) والذي يسمونه علم الأسرار هو السحر والطلسمان والتنجيم والتعزم والتناجيش والنشرة وكل ذلك حرام في الشرع الإسلامي إلا ما جاء من نوع الدعاء والرقي بآيات القرآن وأسماء الله تعالى ولقد جوز النبي ﷺ الرقية بالفاتحة والمعوذتين وغيرها.

تدعى بعلوم الأدب فما الإنشاء الصحيح إلا ثمرة الجهود الجبارة وسعة الاطلاع في أصول الكتب وفروعها.

فإذا راعينا ذلك كله ثم رجعنا إلى مؤلفات علماء نيجيريا نستطيع بعد ذلك أن نقيس قدر ما وصلوا إليه من أدب وما تأثروا به من ثقافة فاسمعوا الشيخ عبد الله بن فودي إذ يقول في مطلع قصيدة من قصائده:

سلا القوم عما عنه قلبك لم يسل ... وعلمك ما هم جاهلون به جهل
ورأيك فيما لم يروه سفاهة ... لدى يهم وإصلاح لما لم يروا دخل
وعقلك فيما خالفوه حماقة ... بآرائهم وكل رأي له أصل
تغربت عنهم بعدما قد تشرقوا ... فربك يدري يوم يجتمع الشمل
وأكثرهم ليسوا كما قد عهدتهم ... إذا الشاب شيخ الرأي شيخهم طفل
فأما الخيام فهي مثل خيامهم ... وسكانها غير الذين بها قبل

وله أيضًا في قصيدة أخرى:

ولما مضى صحبي وضاعت مآربي ... وخلفت في الأخلاق أهل الأكاذب
يقولون ما لا يفعلون وتابعوا ... هواهم وطاعوا الشح في كل واجب
وليس لهم علم ولا يسألونه ... وأعجب كل رأيه في المذاهب
وقطع أرحامًا وأزرى معارفًا ... وآثر عن قرباه جمع الأشائب
وما همهم أمر المساجد بل ولا ... مدارس علم بله أمر المكاتب
وهمتهم ملك البلاد وأهلها ... لتحصيل لذات وخيل المراتب

بعادات كفار وأسماء ملكهم وتولية الجهال أعلى المناصب
وجمع السراري والثياب الحسان والجياد الجواري في القرى لا المحارب
وأكل هدايا الجاه والفيء والرشى وعود ومزمار وضرب الدبادب
وأعجز أهل الحل والعقد أمرهم وجانبت الأعراب من كل جانب
فراراً من القاضي وأكل الأمان والموالات للكفار خوف العواقب
فجموا وقل الصالحون فأ ظهروا مداهنة الفساق أهل الكتائب
وباعة أحرار وفي السوق بعضهم ولاة قضاة في لباس الثعالب
وأيقنت إن لم يرجعوا عن ضلالهم لتختلفن أسيافهم في القوارب

وما هذه وتلك إلا أمثلة لما بلغت إليه الثقافة الإسلامية في نيجيريا ولقد أوردناها ليتدبرها الذ ين أوتوا نصيبًا من النظر والمعرفة .

«الجالية العربية»:

تتكون هذه الجالية من اللبنانيين والسوريين الذين هاجروا أوطانهم إلى دار الغربة بغية للرزق ونشدة الحرية والأطمئنان .

ويرجع تاريخ هجرتهم إلي أفريقيا الغربية إلى ١٨٨٠م وأول من نزل نيجيريا منهم هو السيد الياس الخوري ١٨٩٠م وقد جاء اليها بعد إقامته قليلاً في سيراليون ولما نزل نيجيريا لحق به الآخرون وكان الأولون منهم يبيعون الخرز وبعض البضائع الزجاجية في الساحات العامة وسماهم اليرباويون باسم كوراع أي بايعي الخرز .

وسبب هجرتهم أن البلاد العربية بما فيها سوريا ولبنان كانت تعاني حكم الجور والفساد تحت ظل تركيا.

وكانت الحرية مفقودة في مناحي الحياة موؤدة في صدور الأحرار وكانت أسباب المعيشة عسيرة ضيقة في كل مكان فسمع اللبنانيون باسم أمريكا وما فيها من الحرية عند المبشرين الأمريكين في بلادهم فهاجر بعضهم اليها واستطابوا المكث فيها وسمع بهم اخوانهم ولحقوا بهم وتتابعت هجراتهم حتى بلغ عدد هم في العهد التركي نحو أربعمائه ألف، ثم سمع بعضهم باسم أفريقيا الغربية، وما فيها من الخيرات والبركات أيضًا ولقد سمعوا بذلك من مرسيليا التي كانت المرحلة الأولى من مراحل سفرهم إلى أمريكا فحولوا وجهتهم إلى غرب أفريقيا بدلاً من متابعة سفرهم إلى أمريكا إما لعجز هم عن دفع أجرة السفر أو عد م استيفاء شروط السفر إلى أمريكا فبدأت بذلك هجرتهم إلى أفريقيا الغربية، ونزلوا بدكار عاصمة السنغال ثم نزح منها بعضهم إلى سيراليون ونيجيريا وغانا وغيرها واستقروا بها وبنوا بها منازل ومحلات تجارية وأصبحت لهم وطنًا ثانيًا.

«الجمعيات»:

لا بد من علاقة غير علاقة القرابة والجوار تربط بين أفراد بعمل مشترك أو غاية مستهدفة موحدة تنشأ عنها هيئة تسمى بالجمعية وأهم هذه العلاقات هي الصداقة والمهنة والسياسة والد ين و. .

فجمعيات نيجيريا القديمة قوامها الصداقة والديانة ثم السياسة والتجارة فاليرباويون أكثر اعتناء بتأليف جمعيات الصداقة من غيرهم من القبائل الباقية ويتألف أعضاء جمعياتهم من الأقران المتقاربين في الحسب والشرف

ويتعاونون فيما بينهم على انجاز مشروعات خيرية تخص كل عضو من الأعضاء كتعاونهم على انجاز بناء منزل أو حرث مزرعه عجز الصديق عن انجازه في الوقت المناسب بعد شروعه فيه وهذا في القديم أما اليوم فان كل عضو يدفع في كل شهر مبلغًا معينًا من المال يبلغ مجموعه قيمة ثمينة يسلمونها لواحد منهم فينتفع به. وهكذا حتى يأخذ الجميع على دوره. وتتميز الجمعيات بزيها الموحد الذي يرتديه أعضاؤها في أفراحهم وأتراحهم ويتظاهرون للتفاخر والمباهاة بالمرور على الأسواق العامة في المواسم والأعياد بصحبة شعراء محترفين الذين يحملون على أعناقهم وأكتافهم آلات الطرب والغناء من طبول ودفوف وأبواق ومزامير يمدحونهم بأنسابهم وأحسابهم ويذمون منافسيهم وأعداءهم على نحو ما في أسواق العرب في جاهليتهم. ومن أبرز جمعيات الصداقة وأوسعها وأغناها جمعية قيلة التي ظهرت في لا غوس في أوائل هذا القرن ١٩٠٠م وتفرعت إلَى سائر بلاد يوربا ويؤاخذ عليها أنها لا تهدف إلى غرض نبيل بل كان أعضاؤها يتطاولون بالملابس المزخرفة وركوب الجياد الفارهة وكانوا يبذلون في هذا الشأن أموالاً طائلة لو صرفوها في وجوه الخير لكان لهم من الآثار الحسنة وما يعود علي أبناء البلاد بالخير الوفير ويخلد ذاكراهم.

أما الجمعيات الدينية فهي ثلاثة أقسام تبعًا للوثنية والإسلام والمسيحية.

فالجمعيات الوثنية هي التي تمثلها الطوائف الوثنية من عبدة القوى الطبيعية وعبدة أرواح الأسلاف وغيرها وأعظم الجمعيات الوثنية شوكة هي الجمعيات السرية التي يتألف أعضاؤها من الكهنة والأقيال والملوك الذين يجتمعون فيما بينهم للتآمر على الاغتيالات وسلب الحقوق من أصحابها.

وقد قوبت شوكة هذه الجمعية بعد ما أضافوا إليها الماسونية اليهودية وذلك عندما زار فلسطين الاسقف أكنبي من أساقفة لا غوس ورجع بهذه الماسونية ١٩٣٧م فا نتسب إليها أكابر المحامين والدكاترة والقضاة والموظفين الذ ين تكون منهم اليوم كبار الساسة في بلاد يوربا ولقد تآمر أعضاؤها على اغتيال واعظ مسلم سنة ١٩٥٣م فوحد المسلمون صفوفهم وأقاموا عليهم الدعوى فكسبوها فضعفت من ذلك الحين.

أما الجمعيات المسيحية التي تمثلها جمعيات التبشير فقد ظهرت في نيجيريا بظهور المسيحية فيها حيث تأسست لبناء الكنائس والمدارس والمستشفيات والمكتبات والمطبعات وهي تتعدد بتعدد الكنائس التي ينتمون إليها غير أنهم يتفاهمون ويتعاونون جميعًا فيما بينهم ولا يختلفون حتى يشعر بذلك غيرهم من ذوي الأديان الآخرى.

أما الجمعيات الإسلامية فتمثلها الطوائف الصوفية في شمال نيجيريا وهم القادريون في جهات سوكوتو وغنذو ونوفي وبرنو وإلو رن.

والسنوسيون في جهات برنووكانم والتجانيون في سائر تلك الجهات ويبلغ أعضاء الطريق التجانية وحدها نحو أربعة ملايين ومن الجدير بالذكر أن عثمان بن فودي القادري ألف من اتباعه كتلة د ينية سماها الجماعة فهم الذين بايعوه على جهاده ونصروه في الإصلاح حتى تحقق ما يدعو إليه وتم له النصر فيه ثم تجاوب المسلمون مع المسيحيين في إنشاء الجمعيات فتأسست أولاً جمعية الطائفة الأحمد ية على يد مبشرها عبد الرحيم نيار ١٩٢١م، ولما وقف المخلصون على عقائد هذه الطائفة الزائفة نبذوها وأسسوا جماعة انصار الد ين ١٩٢٣م ثم جمعية نوار الد ين ١٩٣٣م ثم الزمرة الإسلامية ثم انصار الإسلام وكلها تهدف إلى إنشاء المدارس لأبناء المسلمين.

أما الجمعيات السياسية فهي الأحزاب.

فأول أحزاب نيجيريا هو الحزب الد يمقراطي الذي تأسس سنة ١٩٢٠م بزعامة السياسي الكبير المسمى هابرت مكولى المتوفي ١٩٤٦م وقد انضم هذا الحزب أخيراً إلى الحزب الأهلي بنيجيريا وكمرون الذي تأسس سنة ١٩٤٤م بزعامة الدكتور امدي ازيكوى.

تأسس حزب مجتمع الشعب الشمالي ١٩٤٩م تحت رئاسة الحاج أحمد بللو سردونا سر كوتو.

وتأسس حزب طائفة العمل بزعامة أوبافيمي أوولوو سنة ١٩٥١م.

وتأسس حزب تقدم الشعب الشمالي برئاسة الحاج أمين كنو ١٩٥٣م.

وهناك أحزاب صغيرة تندرج مع هذه الأحزاب الكبرى.

«الحماية الإنجليزية»:

لم تقبل هذه البلاد حماية الانجليز إلا بعد حروب دامية حامية الوطيس ومن الخطأ أن يقول قائل أن الشماليين متطامنون خاضعون للأنجليز أو عملاء الاستعمار.

الواقع أن الشماليين يكرهون من ليس من أبناء دينهم وكانوا يعتبرون الأنجليز كفاراً يجب على المسلمين قتالهم.

ولم يذعن الشماليون للانجليز إلا بعد أن حاربوا بكل ما في وسعهم من نفس ونفيس ولما غلبوا على أمرهم رغم كل ما بذلوا ولم يكن يخطر ببالهم أنهم سيغلبون في عقر ديارهم أو سيهزمون هز يمة نكرة أمام قوة أو دولة لم

يجدوا بدًا من أن يحملوا الإنجليز على بني إسرائيل الوارد ذكرهم في القرآن بأن الله فضلهم على العالمين.

وليس أدل على ذلك أكثر من جواب سلطان سوكوتو المسمى عبدالله بن عتيق على رسالة الحاكم العام الانجليزي «فردريك لوغاد الذي استلم الحكم من يد شركة نيجر الملكية في منطقة لوكوجا وأعلن حمايته على مقاطعات الورن ونوفي وكتنغوره بعد معركة دامية قامت بينه وبين أمراء هذه المقاطعات وبعد تغلبه على أمير نوفي المسمى أبي بكر أمير كتنغورة المسمى ناغَمَشي كتب إلى سلطان سوكوتو يطلب منه الموافقة على تعيين خلف لهذين الأميرين فرد عليه السلطان بهذه الرسالة الشديدة اللهجة ومفادها:

منا اليك هذه الرسالة ردا على رسالتك ونحن لا نظن أن واحدًا منكم يتفق معنا ولا نتفق معكم ولا شيء يجمع بيننا وبينكم أبدًا ولا شيء بيننا وبينكم إلا ما بين المسلمين والكافرين وهو الحرب كما قال ربنا عز وجل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام.

وكأنما أشعل السلطان النار في البارود بهذه الرسالة التي لم يكد لوغاد يقرأها حتى اثارت في نفسه سورة الغضب فقام وقعد وارغى وازبد وابرق وارعد وجمع جيوشه الجرارة وزحف بها على كانو وكاشنة ويولا وغيرها من بلاد هوسا ولقي منها مقاومة شديدة كاد ينهزم فيها جيشه لولا أن تداركه المدد العظيم من لا غوس فاستطاع بذلك أن يتغلب على هذه الامارات وهاجم سوكوتو فقاومه السلطان الطاهر بن أحمد بن عتيق بن عثمان إلى أن سقطت سوكوتو تحت قدمه.

فخرج السلطان مشرقًا وكبار حاشيته من العلماء والوجهاء فحاصرهم لوغاد في حصن برمى ببلاد غومبى فلم ينتطح فيها عنزان واستشهد السلطان والقاضي وبعض الوجهاء والأمراء في ميدان القتال واسر لوغاد بعضهم وارغمهم على قبول المعاهدة فسكنت بذلك ثائرة الشماليين واستمرت طائفة في هجرتهم تحت قيادة محمد بللو مايَرْنُو فاستقروا بالمكان المعروف اليوم بما يرنو ، في السودان ووصل بعضهم الحجاز تحت زعامة محمد بُنُو فجاور الحرمين حتى اليوم .

وفي برنو حيث هجم رابح على الشيخ هاشم أمير برنو فاستغاث الشيخ بفرنسا على رابح حتى هز موه وبينما هو يجمع الدراهم المفروضة عليه من قبل فرنسا تعويضًا عما قاموا به من منا صرة ضد عدوه جاء الانجليز وأخبروه بإعفائه من ذلك الد ين الذي أثقل كاهله ثم طلبوا منه قبول الحماية فقبلها شاكرًا .

أما في بلاد يوربا فقد استفاض النفوذ البريطاني فيها بأقصى سرعة بعد سقوط لا غوس وابيكوتا واجيبوأ ودى تحت أقدام الإنجليز .

وفي سنة ١٨٨٨ م عقد الإنجليز معاهدة مع ملك يوربا الملك الافن تجعل بلاد يوربا تحت حماية الإنجليز ولم يجد الملك بدأً من توقيع المعاهدة بعد سقوط كثير من عواصمه في يد الإنجليز .

أما بلاد إيبو فقد قبلت الحماية أيضًا بعد قتال عنيف مع أهلها ، كل ذلك يدل على أن هذه البلاد إنما استسلمت لقوة الإنجليز القاهرة بعد اللتيا والتي .

وهناك بعض أسباب تجر بعض البلاد إلى قبول الحماية منها تناحر البلدين والتجاء الضعيف منهما إلى الإنجليز كما وقع بين أبيكوتا وإلارو وبين زاريا وسوكوتو ومنها تنازع الأخوين على الإمارة كما حدث في لا غوس.

«الحضارة»:

عبارة عن ارتقاء الانسان في أفكاره وعلومه وفي أخلاقه وعاداته وفي ملابسه ومنازله ومراكبه.

وأول الحضارات التي ظهرت في نيجيريا على ما يحتمل هي حضارة المصريين والأثيوبيين الذين عرفوا هذه البلاد قبل غيرهم واتصلوا بأهلها من نحو عشرين قرنًا قبل الميلاد لأن الهيا كل التي عثر عليها في نيجيريا يرجع تاريخها إلى ابعد عهد يقدر بنحو ألفي سنة.

ثم حضارة الفينيقيين والقرطاجنيين الذين نشروا حضارتهم في العالم وامتدت من شمال أفريقيا إلى أواسطها وغربها.

ثم أخذت نيجيريا من الحضارة العربية الإسلامية التي استفاضت إلى غرب أفريقيا بواسطة التجار العرب والمرابطين الفاتحين من شمال أفريقيا وكل ما في نيجيريا اليوم من الحلى والحلل ومن أساليب القراءة والكتابة مطابق لما في شمال أفريقيا مطابقة النعل للنعل.

وقد ثبت في التاريخ أن العرب كانوا يأتون إلى بلاد كاشنه وكنو وبرنو بالصوف والنحاس والخرز والودع وسائر الأدوات الحربية، ويعودون منها إلى بلادهم بالذهب والعبيد وريش النعام وذلك لأن طريق التجارة مفتوحة بين شمال أفريقيا وغربها من عهد القرطاجنيين منذ القرن الخامس قبل الميلاد

وكان في كاشنه وكانو ودوره وبرنو اسواق يحضرها البرابرة والعرب الصنهاجيين مما قبل الإسلام ثم اتسع نطاق ذلك بعد الإسلام وبهذه الصورة اقتبست نيجيريا من الحضارة العربية الإسلامية قسطًا وفيرًا.

ومما لا يشك فيه انسان أن كثيرًا مما في نيجيريا من الحضارات قبل الانجليز إنما يرجع إلى حضارة العرب والإسلام وإليك بيان وجيز على ذلك:

«حلي النساء»:

كانت النساء الكافرات يحلقن رؤوسهن ولما جاء الإسلام أزال عنهن ذلك وعلمهن توفير الشعور ولفها بعصابة تدرجت الآن إلى صورة عمامة كبيرة وانتشرت هذه العادة بين نساء غرب أفريقيا عمومًا لا فرق في ذلك بين المسلمات منهن والكافرات والمسيحيات ويتميز النساء المسلمات بوضع الخمار على هذه العصابة.

أما القمص فلم يكن النساء يلبسنها غير الإزار واللحاف والخمار ثم علمهن الإسلام لبس القميص وأول من قد م القميص إلى النساء المسلمات هو رجل من أهل لاغوس يدعى الحاج يوشع وقد قد مه لهن في حفلة أقيمت له على أثر عودته من الحج ١٩١٠م فاتخذته على الشكل الحالي فاقتدت في ذ لك سائر النساء بالنساء المسلمات.

«المراكب»:

وقد عرف الحصان في نيجيريا منذ أقدم العصور وكانوا يستعملونه في حروبهم خصوصًا في شمال نيجيريا واليرباويون في الجنوب لا يعرفون للحصان إسما غير إسمه العربي بالتحريف اليسير «ايسن».

أما الجمال والبغال والحمير فيقول بعض المؤرخين أنها دخلت إلى مدينة كنو في عهد السلطان محمد رنفا ١٤٧٠م على أيدي العرب التجار من شمال أفريقيا والأصح أنها دخلت بلاد كاشنه وكانو منذ أبعد من ذلك على أيدي التجار ويجوز أن يكون أكثر ذيوعًا في عهد السلطان زنفا.

أما النعال المعروفة عند العرب بنعال التكرور فقد انتشرت في نيجيريا أيضًا على أيدي العرب وقد تعلمها منهم البرناويون ونشروها في البلاد.

«المنازل»

أن أشكال المنازل في بلاد هوسا كانت على غرار منازل العرب القديمة ولا تزال آثارها باقية في قرى العرب إلى اليوم.

وتبنى هذه المنازل من الطوب النيئ للطبقات الفقيرة ومن الطوب المحروق للطبقات الراقية وكان سقف سطوحها من الطين المفروش على الأخشاب المرصوصة بالنظام بأعلى الجدران.

وكانت نوافذها عبارة عن الكوات الصغيرة بعضها مثلث الأشكال وبعضها مربع أو مستدير الأشكال.

أما في بلاد يوربا فالسقوف بعد فرشها بالأخشاب وتلبيدها بالطين تغطى بالحشائش على شكل الخيمة وقاية للجدران من إصابات الأمطار ولكن هذا النوع من المنازل مهدد بخطر الحريق في كثير من الأحيان وتتكون أجزاء المنازل من الدهاليز الخارجية ثم الديوان الكبير ثم بيوت النساء ودهاليزهن.

وتقتصر أثاثات المنازل على الحصر وجلود الأنعام والأوسدة المحشوة ليفًا المغطاة بالجلود الملونة.

«الملابس»:

إن الالتحاف بالرداء والتشمر بالإزار هو اللباس الرئيسي في نيجيريا القديمة علي مثال ما للرومان واليونان والهنود والعرب والمصريين القدماء. أما القمصان والسراويل فقد انتشرت وذاعت في نيجيريا بعد ظهور الإسلام.

فالجلابيات والسراويل والبرانس والقفطانات والعباءات والجيب كلها من التراث الإسلامي الذي حمله العرب إلي نيجيريا وقد حافظ كثيرها علي أسمائها العربية عند الهوسا واليوربا حتي اليوم.

«الحكومة»:

الحكومة في نيجيريا القديمة أرسطقراقية يرأسها ملك يعتبر نفسه الإله الأصغر أو رب الأرض الذي ينوب عن الإله الأعظم رب السموات.

وتتألف حاشيته من أمينه الذي يختاره من عبيده المخلصين له ومن رئيس الحاشية الذي هو بمنزلة رئيس الوزراء ثم من قواد الحروب فالكهنة فشيوخ القبائل وهؤلاء هم أرباب الحل والعقد في تولية الملك وبهم يستعين في شؤون الحرب والقضاء والسياسة ولا يقطع أمرًا دونهم وعليهم من جانبهم الولاء والطاعة في كل ما يأمر به وينهي عنه. أما إذا وقع بينه وبينهم خلاف تألبوا عليه وقلبوا له ظهر المجن أو دبروا المؤامرة في اغتياله وعزله فإذا أحس هو بالخذلان مع الجميع وتيقن سوء العاقبة اختنق بالحبل أو رمي بنفسه من شاهق أو احتسي السم ليستريح من فتنة قومه أو ليموت وهو علي عرشه.

ويستفيد الملك والرؤساء من تمليك الأراضي الزراعية للمزارعين الذين يعطونهم حصصًا كثيرة من محصولاتهم الزراعية ومنتوجاتهم الصناعية كما يعطونهم قسطًا وفيرًا مما يعرضون للبيع في الأسواق العامة.

ويقدم المحارب ما يروق من غنائمه إلى الملك أوالقائد الأعلى كما يأتي الصائد بما يجزل من صيد.

وللحكومة سجن يحبس فيه المجرمون وأسرى الحروب إلي أجل غير مسمي ولا يخرجون إلا بموت الملك أو بعفوه النادر.

أما الحكومة الإسلامية بشمال نيجيريا فقد أخذت بالطابع الإسلامي العربي فللأمير مجلس الشوري الذي يتألف من وزيره الذي هو بمنزلة رئيس الوزراء ثم الإمام فقاضي القضاة ثم قواد الحروب ورؤساء القبائل.

«الديانات»:

في نيجيريا من الديانات الوثنية كالفتشية والطوطمية ثم الإسلام فالنصرانية.

ويعتمد تدين النيجيريين علي الرغبة فيما عند المعبود من الخير العاجل أوالرهبة بما ينزل منه من الشر العاجل على أنهم ينسبون كل خير وكل شر إلى قوة هذا المعبود وسلطانه لهذا يخضعون له وينقادون لمشيئته ويستعينون به على شؤون حياتهم.

ونراهم يعتقدون أن المتدين يجب أن يكون سعيداً في حياته قبل مماته ومن لم يكن في الدنيا سعيداً فلا يكون في الآخرة سعيداً.

لهذا يطمئنون إلي دينهم إذا سعدوا بسعة العيش والرزق وشفاء العلل والأمراض وتعتورهم الريبة والشكوك كلما تكلح الدنيا على وجوههم أوتصيبهم جائحة في أموالهم وأنفسهم؛ لأن ذلك في نظرهم مناف لحكمة التدين. هكذا كانت أحوالهم قبل الإسلام وقد هذب الإسلام هذه النظرية في عقليتهم فتهذبت نفوس المسلمين الشماليين أما نفوس الجنوبيين فلا يزال

أكثرها فيمن يعبدون الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

فالفتشية: عبادة الأنصاب والتماثيل المنحوتة من الحجارة والخشب والطين أو الشجر أو نحوها يعظمها أهلها ويقدمون لها الذبائح والقرابين وكان لهم من ذلك عبادة الرعد والبرق والنار وبعض الأنهار والجبال والأشجار.

والطوطمية عبادة حيوان أو نبات يعتقد أهلها أن أجدادهم الأولين منحدرون منها أقسامها طوطم الجنس وطوطم القبيلة وطوطم الشخص.

وكان بعض النيجيريين يقدسون التماسيح والثعابين والأفيال، ومن قبيل الطوطمية عبادتهم لأرواح الأسلاف وكانوا يقيمون في ذلك عيداً كبيراً يدعونه عيد الغول يتنكرون فيه بالملابس المبرقشة أو جلود السباع يحيون به ذكري أسلافهم وعظمائهم.

ويتنكرون في هذا العيد خصوصاً للولدان والنسوان كما أن لهم طقوساً كثيرة لا تشهدها النساء العاديات ومنها ما يقومون به في جنح الظلام أو في الغابات.

ومن النيجيريين قوم كانوا يعبدون النار ويطوفون حولها ويرقصون عليها فلا تضرهم وهم من الفلانيين ومنهم أيضاً من يعبدون الأنهار ويفعلون لها كما يفعل الأقباط للنيل وهم من اليرباويين.

وللنجيريين إيمان جازم بالحياة بعد الموت ونشأ لهم من ذلك اعتقادهم بتناسخ الأرواح من أب إلي حفيده ومن أم إلي حفيدتها.

فإذا مات الوالد أو الوالدة ثم ولد من عقبهما ولد أو بنت زعموا أن روح الراحل عاد في شبح المولود الجديد وسموه باسمه.

والزار من آثار الوثنية الباقية في بعض القري الشمالية وقد استفاض من بلاد فزان وتمبكتوا إلي نيجيريا منذ أقدم العصور.

وهو غيبوبة تحدث لبعض العرافين الذين يعزفون الموسيقي المطربة حتي يصابوا بالغيبوبة ويزعمون أنهم اجتمعوا في اثنائها بأرواح الأموات ويتلقون منهم الأوامر من نوع الحيوان الذي ينبغي تضحيته وتفريق لحومه على الأصدقاء ليشفي العليل من علته[1].

وفي بلاد هوسا كفار يسمون ماغجاوي وأصلهم كما ذكر الشيخ الكنوي آدم نمعجي أنهم كفار وموطنهم الأصلي في مقاطعات كنو اسلموا عند ذيوع الإسلام فيها بعهد الأسرة الرنفاوية في عهد الكنوية الثانية فسموا «توباوى» ومن أعيانهم رجل اسمه «ماغجا» ثم استصعبوا شرائط الإسلام وشريعته فارتدوا عن الإسلام إلي كفرهم فأصبح كل مرتد يدعي بماغجاوي.

فالوثنية بسائر أنواعها هي الديانة الأولي المعروفة بهذه البلاد ورؤساء الوثنية هم الكهنة الذين يخطون خطوطًا في الرمل أو يرمون الحرز ويستنطقونه عن الأخبار بالمستقبل.

وهؤلاء الكهنة لهم أخلاق سامية ومعاملات خالية من الغش والكذب والنفاق والخداع.

---

(١) ولا تزال هذه العادة بين مسلمي نيجيريا إذا مرض أحدهم يجتمع الناس حوله ويقرأون بعض آيات ثم يضحون ضحية يفرقون لحمها ويسمونها «سارا» في بلاد يوربا..

أما الإسلام فقد اختلف المؤرخون في زمن دخوله إلي هذه البلاد وعند الإفرنج أنه دخل في القرن الثالث عشر الميلادي. والواقع أن الدولة الكانمية التي ظهرت في بلاد برنو في القرن العاشر الميلادي تثبت قدم الإسلام في هذه البلاد. ومن طبيعة الإسلام أن يتسلل وينتشر ويتغلغل في الأوساط الإفريقية بلا اعتراض.

أما النصرانية فيذهب بعض الإفرنج إلي أنها أقدم من الإسلام في هذه البلاد ويبنون هذا علي أن يوحنا مرقس أحد كتاب الأناجيل الأربعة وصل إلي شمال أفريقيا مبشراً وأن متي جال في بلاد كثيرة حتى دخل إثيوبيا وقتل شهيداً وأن المهاجرين إلى غرب أفريقيا من اليمن ومصر في ظهور الإسلام كانوا مسيحيين وإنما نسوا تعاليم دينهم لبعدهم عن الديار.

لهذا الرأي قيمته المنطقية لأن الصلات وثيقة بين شمال أفريقيا وغربها منذ أقدم العصور.

ولكن الإسلام لم يدرك في نيجيريا أدني أثر للنصرانية ولم تسمع عنها إلا من ألسنة العلماء المسلمين.

أما الدخول الحقيقي للنصرانية في هذه البلاد فكان على يد البرتغاليين في القرن السادس عشر حيث فتحوا المدارس وبنوا الكنائس في مدينة بنين ولم يستقر بهم قرار.

ثم أعاد المبشرون كرتهم من جديد سنة ١٨٤١م فاستقروا فيها على كره من أهلها وعدم استساغه النيجيريين للمسيحية التي تحرم عليهم تعدد الزوجات وطبيعتهم لا تلائم التوحد.

المسيحية التي تتقلد زعامتها البيضان المترفعين المتنطعين المتنكرين للسودان.

«الزواج»:

عند النيجيريين القدماء وسيلة من وسائل الاستعباد من جانبي الزوج والزوجة.

فالزوج عبد لصهره يحمل عنه تبعات كثيرة في المواسم والأعياد وسائر مناسبات الأفراح والأتراح لذلك يشترطون الكفاءة على الزوج ولهم مثل في ذلك يضربونه ويقولون «زوجوا بناتكم من له ظهر السند» وذلك إلى جانب المهر الذي يرتفع إلى درجة البيع والشراء لأن المهر نصيب مشترك لأعضاء الأسرة كلهم يقتسمونه فيما بينهم فالزوجة نظير هذا، أمة تخدم زوجها في ذل وانكسار فهي في القرية تحصد الزرع وتعصر الزيوت وتصنع الخزف خدمة لزوجها وفي المدينة تغزل وتحيك أوتتاجر لتسلم الأرباح كلها للزوج المسؤول عن المستلزمات المنزلية فليس للزوجة حق التصرف في شيء من ذلك.

ويعتبر تعدد الزوجات مزية للرجال لهذا نري الطبقات المتوسطة والغنية يكثرون من الزوجات إلى بضع عشرات. وللملوك حق الإكثار إلى بضع مئات.

فللزوجة الأولي التي تحمل لقب ربة البيت السلطة على الباقيات في الأغلب.

ويتمتع نساء الملوك بالحرية الكاملة ويقضين أوقاتهن في فراغ ولهو ويتخذن لأنفسهن أخدانًا ممن شئن فإذا حملت إحداهن من ذلك احتالت

على الملك بمعونة ربة البيت حتى يدخل بها ولو مرة لتنسب الولد إليه فإذا انكشف السر فالقتل جزاء الزاني إلا إذا كان من أبناء الأسرة المالكة فيؤدب فقط .

فللأبناء أن يرثوا نساء آبائهم وللأخ الصغير أن يرث نساء أخيه الكبير بدون مهر جديد هذا كله قبل الإسلام .

فقد أخذ المسلمون بنظام الإسلام في الزواج والمعاشرة فعمل الشماليون وقليل من الجنوبيين بنظام الحجاب .

أما الأكثر في الجنوب في نساء يوربا هو السفور حيث كانت الأسواق كلها للنساء وبذلك تعتبر ثروة البلاد اليوربوية ملكًا لنسائها .

ولقد ظهرت عند بعض المسلمين عادة يمقتها الإسلام ولا يرضاها وهي أن تزف العروس مع سائر ما يلزمها من أمتعة وكساوي إلى زوج قد لا تسبق بينهما الخطبة فتكون العروس على هذه الصورة هدية أو صدقة . أما دفع المهر وسائر الأثاثات للمرأة من وليها وإعفاء الزوج من ذلك بعد الخطبة والموافقة فهو وإن كان غير مشروع أخف من العادة الأولي .

«السوق»:

عبارة عن مجتمع للبيع والشراء وهو في نيجيريا يقع غالبًا بساحات الملوك والأقيال والأمراء والزعماء . . والسوق نوعان محلي ليلي .

ويكون ذلك في الأمسيات يبدأ وقته عند ميل الشمس للغروب ويمتد إلى الثلث الأول من الليل .

والثاني مركزي نهاري ويكون ذلك مرة في كل خمسة أيام وفيه يجتمع أهل القري المتجاورة لبيع نتائجهم الصناعية وحاصلاتهم الزراعية ويكتسب البلد الذي يقع فيه السوق شهرة وازدهاراً.

ولا يحضر السوق الرجال في بلاد يوربا إلا قليلا بل هي للنسوان على عكس ما في بلاد هوسا حيث لا يحضرها النسوان قطعًا لأنهن محتجبات. وفي أسواق هوسا الدلال الذي يدل المشتري على مكان السلعة ثم يتوسط بينه وبين البائع ليكسب من الاثنين أجرة دلالته وتوسطه ويشرف على السوق شيخ يجمع المكوس من التجار باسم الملك أو السلطان وينزل البايعون تحت عريش محكم البناء بحيث لا يصل إلى الجالس فيه قطرات المطر وأشعة الشمس ثم يعرض أمامه سلعته للمشترين.

وقد جدد الإنجليز نظام السوق الأهلي إلي ما يساير الحضارة الحاضرة ففتحت المحلات الكبيرة والدكاكين على الطراز الأوربي الحديث.

«السياسة»:

كانت سياسة نيجيريا ارسطقراطية بيد الرؤساء المحدودين الذين يرثون كراسي الحكم من آبائهم كابرا عن كابر.

وبدأت نيجيريا تخطوا وئيدة في مدارج الحكم الديمقراطي سنة ١٩١٤م عندما أسس مجلس شوري القوانين بتوحيد شمال نيجيريا وجنوبها على أن يتألف المجلس من أعضاء يبلغ عددهم ٣٠ عضواً من الأعيان الرسميين وهم:

الحاكم الأكبر وسكرتير الإداري ونائبا الحاكم في الجنوب والشمال ومقيمو أقسام البلاد. ثم خمسة عشر عضواً غير رسميين يختارهم الحاكم من المواطنين ومن الأوروبيين من غرف التجارة وغرف المناجم.

وينتخب سكان لاغوس ثلاثة أعضاء ينوبون عنهم كما ينتخب سكان كلابر نائبًا واحدًا.

وأجري الانتخاب الأول لمجلس التشريع العام سنة ١٩٢٣م وقد فتح هذا المجلس على يد الحاكم «سيرهوج كلفورد» والغرض من هذا المجلس إعطاء المواطنين فرصة إبداء الرأي لسن القوانين وصرف أموال البلاد في الشؤون اللازمة والمشاريع الحيوية ولا يسري مفعول هذا القانون على الإقليم الشمالي بل هو مقصور على أهالي لاغوس والإقليم الجنوبي.

وللمجلس لجنة تنفيذية مؤلفة من رؤساء دوائر الحكومة وبعض أعضاء معينين من قبل الحاكم العام.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية قنن الحاكم اثور ريشار دستورًا يؤهل نيجيريا للحكم الذاتي. وهو يملي أن تكون نيجيريا مقسومة إلي ثلاثة أقاليم الشرق والشمال والغرب. وأن يكون لكل إقليم مجلس تشريعي خاص مؤلف من ثمانين عضوًا ينتخبهم دافعو الضرائب.

ثم يختار هذه المجالس بدورها أعضاء من بينهم ينوبون عنهم في دار النيابة العامة بلاغوس.

ويعين الحاكم منهم مجلس الوزراء الذي يتألف من اثني عشر وزيرًا منهم رسميون ويقال لهم وزراء بحقائب وغير رسميين وهم وزراء بلا حقائب يرأسهم الحاكم نفسه.

وجري العمل على هذا الدستور من سنة ١٩٥١ حتي سنة ١٩٥٣م ثم أدخل فيه بعض تعديلات يعطي كل إقليم سن ما يرتئيه مناسبًا وحق تعيين

وزراء تحت رئيس لهم باسم أول الوزراء الذي يستمد السلطة من الحاكم المقيم بإقليمه.

ثم تألف بعد ذلك مجلس مركزي اتحادي بلاغوس ومجلس وزراء عشرة تحت رئاسة الحاكم العام.

ثم تدرج النظام إلي تعيين رئيس الوزراء من الحزب الفائز بأكثرية الكراسي في البرلمان وإلي تحديد أول أكتوبر ١٩٦٠م لاستقلال البلاد تحت نطاق الدول الكومنويلث وفي منتصف نوفمبر من العام بالذات عين الحاكم الجديد من المواطنين خلفًا للحاكم الإنجليزي.

والجدير بالبيان أن هذه التطورات المستمرة لم تكن باختيار الإنجليز ولكنها كانت بالاضطرار الذي تمخض عنه كفاح المواطنين الأحرار.

«سمات الخدود»

تعود السودانيون أن يرسموا على خدودهم بالسكين علامات هندسية بمثابة شارة تنم عن عناصرهم وتنبيء عن صلة القرابة بين بعضهم في ديار الغربة وتعصمهم من اختطافهم إلى أسواق العبيد عند من ينتمي إلى تلك القبيلة بصلة.

ومن أجل ذلك كانت قبائل نيجيريا تتخذ أشكالاً خاصة تخطها وترسمها على الخدود طولاً وعرضًا.

ولقد كان الناس يكتوون علي أصداغهم ويوشمون وجوههم فنهاهم الإسلام عن ذلك وأبقي العلماء ما خف من السمات بحكم ضرورة الحروب المتفشية بذلك الزمان وانتفاع الناس بتلك السمات ثم أهملها أكثر

المسلمين اليوم بفضل تقدم الحضارة والمدنية . وفي هذه الصفحة بعض أمثلة عن السمات :

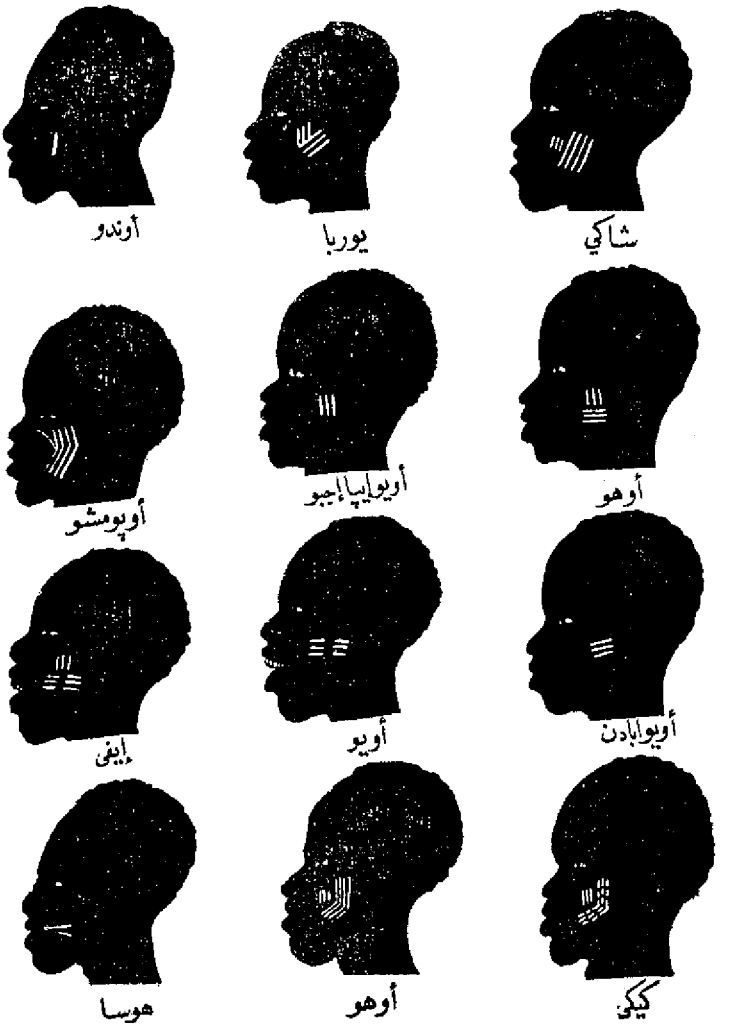

لقد طال عهد المقايضة بين أمم هذه البلاد في التبادل الخارجي والداخلي على السواء. ولقد ذكر هيرودت كيفية التعامل مع الزنوج في شواطئ أفريقيا الغربية وقال:

«كان أولئك التجار من البيض يلقون مراسي سفنهم في عرض البحار ثم يحملون بضائعهم ومصنوعاتهم على زوارق إلي البر حيث كانوا يضعونها أكوامًا ويعودون إلي السفن فكان الزنوج إذ ذاك يخرجون من مخابئهم ويضعون في قرب كل كومة منها شيئًا من التبر أوالذهب ويتوارون فيأتي التجار بدورهم ويقابلون البضاعة والثمن فإذا توازنت حملوا الثمن وتركوا للزنوج البضاعة[1]».

وفي القرون الوسطي ظهر التبادل بالودعة في نيجيريا وهي ضرب من المناقيف الصغار تستخرج من البحار وإذا نزع ما في جوفها من الدويبة اتخذت الأصداف عملة تبادلية.

ويقال أن الصين أقدم الأمم الذين استعملوا الودع كالعملة ثم انتشر التعامل بها في سائر أنحاء العالم.

وعرف أهل نيجيريا بالتعامل بالودع من شمال أفريقيا وقد كان العرب يتاجرون إلي غانة وتكرور ومالي بالودعة والصوف والنحاس والخرز ويعودون منها بالذهب والعبيد. ثم اكتشف الودع من بعض جهات بشمال نيجيريا وجنوبها وكان الناس يتخذونها زينة.

(١) في بلاد الزنوج ص ٣٧.

وفي سنة ١٩١٣م أسست الحكومة الإنجليزية مكتب النقد وعهدت إليه تنظيم أحوال العملة فأصدر الأوراق المالية بخمس ليرات وبليرة وبنصف ليرة كما أخرج القطع المعدنية ذهبية وفضية وبرونزية ثم سحب أوراق الخمس ليرات الأولي وأبقي قيمة ليرة ونصف ليرة.

ثم أعيدت سنة ١٩٥٩ كما زيدت عليها قيمة الخمس شلنات.

أما القطع الذهبية والفضية فقد صفيت وبقيت قطع برونزية ولقد اكتشف منذ مدة أن من الناس من يحاول تزييف البنكنوت والقطع المعدنية فيسعي البوليس في كشف سرهم والقبض عليهم وجرهم إلي المحاكمة لينالوا نصيبهم من العقاب.

«القبائل»:

جمع قبيلة وهم جيل من الناس يسكنون ناحية من القطر ويتكلمون بلغة موحدة وهم دون الشعب كثرة وفوق البطن قلة. ويبلغ عدد قبائل نيجيريا نحو مائتي قبيلة لكل واحدة منها لغتها الخاصة تجهلها جارتها ولا تفهمها إلا بالتعلم.

أما القبائل الرئيسية بنيجيريا فهي نحو عشرين ونخص بالذكر مكنها:

١- قبائل هوسا.

٢- قبائل إيبو.

٣- قبائل يوربا.

٤- قبائل فلانة.

٥- قبائل برنو.

٦- قبائل نوفي.

أما قبائل هوسا فموطنهم الإقليم الشمالي ويتوزعون في سائر الأقاليم وهم أرقي القبائل الباقية حضارة وأعظمها ثقافة. ولغتهم أشهر لغات غرب أفريقيا تداولاً لأنها أخف على اللسان وأضبط في الأذهان. ولقبائل هوسا تاريخ مجيد وذكريات خالدة في السياسة والصناعة والتجارة والحماسة.

وهم مولعون بحب السياحة وتحمل المكاره وسعة الصدر وخفة النفس وقوة العارضة والعزيمة وإتقان الصناعة.

ويؤخذ عليها الخوف المفرط من الكبراء والخضوع الفاحش للأمراء والتجمد على التقاليد الموروثة من الأسلاف والاعتماد على الغير وإهمال ما من شأنه الاعتناء به ثم الإحالة على القدر والقضاء.

ولقد تشعبت قبائل هوسا إلى سبع شعب سميت كل شعبة منها باسم زعيمها وهي دوراه وكنو ورانو وزكزك وكشنة وزنفرة وغوبر ومنها تكونت دول هوسا بالسبع.

أما قبائل إيبو فهي فطرية إلى عهد غير بعيد، وإنما استيقظت منذ قرن إلى الآن.

ومن طباعها سرعة الغضب والاستبسال والتمرد وحب الاستقلال وكانت قبائل متفرقة لا تجمعها أية رابطة ولا تتكون القرية إلا من عائلة واحدة لا تخضع لرئيس ولا لأمير ولا لسلطان.

لهذا لم يكونوا يجيدون شؤون الحكم كالهوسا واليوربا قبل الإنجليز وقد انتظموا الآن في عداد الأمم المتمدنة بفضل نبوغ بعض الأفراد منهم في الثقافة

والسياسة كالدكتور «أنمدي أزيكوي» الذي لعب دوراً هامًا في ميدان السياسة حتى تنصب على منصب الحاكم العام.

أما قبائل يوربا فمعظمهم بالإقليم الغربي ويمتدون إلى الإقليم الشمالي وإلى بلاد الداهومي.

ومن أخلاقهم المكر والدهاء والأثرة والأنانية والغيرة والرياء إلى جانب الذكاء والنجدة والمحافظة على تقاليد الأسلاف والأجداد وهم أسبق قبائل نيجيريا إلى التعليم الإنجليزي. لهذا كثر فيهم الدكاترة والمحامون والمهندسون والسياسيون.

أما قبائل فلانة من سكان الإقليم الشمالي فهم قسمان:

البدويون: وهم رعاة البقر الذين ينتقلون من مكان إلى مكان بغية المراعي الطيبة الخصبة لأبقارهم ويسمون بروروجي ولهم لون خلاسي وأنف ضيق طويل وهم يحتفظون بدمائهم وتقاليدهم وأنهم لا ينكحون إلا من بنات أعمامهم حرصًا علي أنسابهم أن لا تضيع.

والحضريون: وهم الذين نزلوا المدن واختلطوا بأهلها وذابت جنسيتهم في القبائل المجاورة لهم إلا في التاريخ.

أما قبائل برنو فتقع بلادهم بالشمال الشرقي من نيجيريا ويشتهرون بالفروسية والشجاعة وبإتقان الصناعات المختلفة وهم بالدرجة الأولي من الأنفة والكبرياء وعزة النفس والفخر بالآباء.

أما قبائل نوفي فإنهم ينزلون على ضفاف نيجر الشمالية في المقاطعات المحاذية لبلاد يوربا وصفتهم المشهورة الفخر والكبرياء.

أصول هذه القبائل:

أما أصول هذه القبائل فلم نعثر على شيء منها غير ما كتبه السلطان محمد بللو في كتاب إنفاق الميسور وهذا نصه ببعض التصرف :

١ - بلاد برنو يسكنها البربر والعرب والفلانيون ومماليك البربر من الزنوج والجوش .

وهم الذين طردهم حمير من اليمن بعد أفريقش وتبع وسبب مقامهم باليمن على ما زعموا أن أفريقش استغاث به أهل الشام حين أكثر البرابرة الفساد فيها واستنصروه عليهم فغزاهم وشتت جموعهم وسبا منهم ذراريهم ولما رأي نجدتهم استبقي ذراريهم عنده مماليك يستعين بهم فلما مات ومضي برهة قاموا علي حمير واقتتلوا فطردهم حمير من اليمن واستوطنوا أفريقيا من أرض الحبشة ثم وافوا كانم واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عجما تحت حكم إخوانهم التوارك يقال لهم أمكيتا وغلبوهم على البلد وأقبلت دولتهم أيام استيطانهم البلد حتى ملكوا أقاصى البلاد من هذا القطر وكانت وادي وباغرمي وجزء من بلاد هوسا تحت برنو .

٢ - فالهوسا من مماليك البربر من أهل برنو زعموا أن عبدًا لسلطان برنو يقال له باو هو الذي ولد السودانيين من أهل هذا البلد ولذلك قلنا إنهم من مماليك البربر من أهل برنو وأن كاشنة وكنو وزكزك ودوراة ورنو وبريم من ولد باو الذي هو مملوك سلطان برنو .

٣- وأما أهل غوبر وهم أحرار من أصلهم بقايا القبط قد خرجوا من مصر وتوجهوا إلى المغرب هكذا وجدوه في التاريخ عندهم .

٤- أما نوفي فأصلهم من كاشنة وزكزك وكنو.

٥- أما الفلانيون فأصلهم مزيج أمهم من تورد وهي من قبائل الروم وأبوهم عربي وهو عقبة بن نافع الصحابي الذي تزوج ببج مغ وأنجب أربعة أولاد وهم دعت وباس وواي ورعرب وقد قتل عقبة في بلاد البربر وخلف بنيه عند أمهم فشبوا وتكلموا بلسان غير لسان أبيهم وأمهم.

٦- أما يوربا على ما يقال إنهم من بقايا بني كنعان الذين هم عشيرة نمروذ وسبب مقامهم بالمغرب على ما يقال أن يعرب بن قحطان هو الذي طردهم من العراق إلى المغرب فسلكوا بين مصر والحبشة حتى وصلوا إلى يريا وكانوا يخلفون في كل طائفة منهم، انتهى.

هذه هي الأقاويل التي دونها السلطان محمد بللو على حسب ما شاع وذاع على ألسنة الناس بزمانه. فلا يخفي ما فيها من الاضطرابات والخرافات والأساطير والافتراضات التى لا تبقي عند الغربلة ولذلك نري السلطان يعبر عن نقلها «وزعموا أو يقال» لأن الأولين الذين يؤرخون إنما يعتمدون على الأخبار الشفهية التي يروونها عن الشيوخ الأميين عن أمثالهم ولا يغربلونها شأنهم في ذلك شأن جميع الأمم في الدنيا القديمة.

فالسلطان محمد بللو معذور لهذا ثم لأنه لم يقتبس من كتاب غيره في هذا الظلام الحالك بل هو أول كاتب من هذا النوع.

النقد والتعليق:

إن القول بأن برنو قوم من برابرة الشام ولما أكثروا الفساد فيها استغاث أهلها بإفريقيش فغزاهم إلى آخر ما قالوا: يحتاج إلي التمحيص والغربلة إذ

الموجود في التاريخ الصحيح أن الله بعث موسي على رأس بني إسرائيل إلى جبابرة الكنعانيين والعمالقة بالشام ونكل منهم بنو إسرائيل.

وعاقبهم الله بأن لا يدخلها منهم أحد إلا كالبيا ويوشع وآخرين من أبناء هذا الجيل الناكل. وكان ما كان من أمرهم حتى مات موسى وقام بالأمر بعده يوشع ودخل الشام وغزا الجبارين الكنعانيين والعمالقة ففر أكثرهم إلى أفريقيا وأقاموا بها ثم لحق بهم الآخرون منهم من الذين فروا من وجه داود. ولما جاء أفريقش وهو يمر بالشام إلى غزو أفريقيا احتمل معه جملة منهم إلى فتوحاته بها وأدركوا إخوانهم بها وأقاموا معهم ولم تقم لهم قائمة بالشام بعد النبي داود وليس لهم أثر ولا ذكر في تاريخ اليمن مطلقًا.

واختلف المؤرخون في معني البربر وذهب بعضهم إلى أنها كلمة آطلقها الرومان على الأمم المجاورة أو المغلوبة كما ذهب البعض إلى أنها كلمة آطلقها عليهم أفريقش عندما تكلموا بكلمة لم يفهمها فقال ما أكثر بربربتهم.

والخلاصة أن قبائل برنو من البرابرة الذين فروا من وجه يوشع ثم الذين هاجروا مع أفريقش إلى شمال أفريقيا وانتشروا منها إلى أواسطها وغربها فمنهم الذين عرفوا فيما بعد بالبرابرة وفذان وزغاوة والزنج. ومنهم الذين اسسوا دولتهم حول بحيرة تشاد بالقرن العاشر الميلادي.

وأن القول بأن قبائل هوسا مماليك سلطان برنو قول جزاف وإنما الأصح أن بايجيده والد باو هو الذي تصاهر مع سلطان برنو وكان بعاونه في الحروب بموجب المصاهرة.

وقد قرر العلماء أن قبائل هوسا الحاضرة ليسوا من أصل واحد بل من

أصول متعددة، وإنما تكلموا بهذه اللغة التي انتسبوا إليها لكونها أخف على اللسان أو لكونها لغة الحكام والأمراء.

وتعدد قبائل هوسا لا ينافي توحد ملوكها في أسرة واحدة كما مر.

وفي القول بأن يعرب طارد يوربا من العراق غفلة منشؤها أخذ القول على عواهنه.

فالثابت عند العرب أن يعرب بن قحطان غلب على قوم عاد باليمن وغلب علي العمالقة بالحجاز وولي أخوته من بني قحطان عليهم ولم يذكر له فتوحات إلي أرض العراق حتى يطارد منها يوربا.

فكيف يسوغ ليعرب أن يطرد عرب (يوربا) أليس التناقض في ذلك واضحًا؟ والصحيح أن العرب الذين هاجروا مع افريقش من اليمن ثم انضم إليهم البرابرة من الشام هم الذين تبقوا في غرب أفريقيا وعاشوا جنبًا إلى جنب مع إخوانهم الذين هاجروا سويا.

ويكاد يتفق المؤرخون في هذه البلاد أن يوربا إخوان البرابرة بسائر أجناسها من البرنر والبرغو.

والقول بأن الفلانيين مزيج من الروم والعرب رواه العلامة عبد الله ابن فودي عن أجداده حيث قالوا: إن عقبة لما فتح المغرب سار حتى لقي قومًا من الروم يدعى ملكهم برمندانة فلما دعاه إلى الإسلام واسلم تزوج عقبة ابنته المسماة بج مغ فجاءت بأربعة أولاد.

أما الإفرنج فيذهبون إلى الفلانيين وهم البول قوم من الساميين نزحوا من آسيا إلى شمال أفريقيا ومنها إلى غربها وقد انحدر منهم قبائل ونغارة

وغانة ومالي وتكرور وسنغي وقد دخلوا إلى نيجيريا بالقرن الثالث عشر الميلادي.

والقول بأن قبائل نوفي مزيجة من كاشنة وزكزك وكنو قول ضعيف لأن اسمهم يدل على أن أصلهم من النوبة وإن خالطهم غيرهم فيما بعد.

أما قبائل أيبو فلم يتعرض لذكر أصلهم أحد من المؤرخين السابقين والرأي الجديد أنهم منحدرون من قبائل بنتو والزنج كما لا يبعد أن ينتسب بعضهم إلى قبائل بني.

«القانون والقضاء»:

إن القانون النيجيري القديم كان مبنيًا على التقاليد والعادات المحلية ويحكم الزعماء والشيوخ والملوك بموجب تلك العادات والعرف والتقاليد المحفوظة في الصدور المنقولة عن الأسلاف.

١- فقاتل النفس واللص وخائن الوطن جزاؤهم الصلب حتى الموت.

٢- والزاني تؤخذ منه غرامة معينة تعدل ثلث المهر وتسلم للزوج.

٣- والمدينون يرهن ولده عند الدائن ليستغله حتى يدفع ما عليه عاجلاً أو آجلاً.

٤- والزارع يقدم لمالك الأرض من نوع ما يزرع.

٥- والميراث كله يستولي عليه الأخ الأصغر، يرث الزوجات والتركات فليس للأبناء والأزواج حق إلا ما سمحت به نفس العم الذي هو بمنزلة الأب ونصيب الأبناء تأخذه الأمهات لأن كل ما يصل إلى أصل الشجرة تستفيد منه الثمرة.

أما القضاء فكبير كل عائلة حاكمها ورئيس كل قبيلة قاضيها.

والملك هو قاضي القضاة يستأنف إليه في القضايا الكبري ويشترك في النظر فيها كبار رجال الحاشية.

وتلك هي الأساليب القديمة التي سار عليها القضاء النيجيري القديم ولا تزال المحاكم الوطنية في بلاد يوربا تعمل بها حتى الآن مع بعض تعديلات يسيرة كرد عقوبة القتل إلى الحبس والغرامة.

أما القضاء الإسلامي فقد ظهر في بلاد هوسا مع ظهور الحكم الإسلامي بالقرن الثالث عشر الميلادي وظهر قبل ذلك في بلاد برنو بالقرن العاشر حيث كان القضاء مستفادًا من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على المذهب المالكي.

وكان القضاة يختارون من العلماء والفقهاء المشهورين بالورع والتقوي في المبدأ ثم أصبح القضاء موروثًا لأبنائهم ويشترك الأمراء مع القضاة في كثير من القضايا لكونهم منورين بأصول الشرع الإجمالية.

وقد تولي منصب قاضي القضاة في مدينتي كنو وكاشنة الشيخ المغيلي التلمساني من جلة علماء المغرب العربي وترك للقضاة وصية جامعة لأصول الاجتهاد والقياس ونحن نوردها هنا للاستفادة والتاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم:

من عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كنو وفقه الله لما يرضاه وأعانه علي ما أولاه من أمور دينه ودنياه بجاه سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه.

سلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه أنه لا بد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية . ولا يجوز أن يترك مفسد على فساده مع إمكان ردعه عنه أو لعنه أو حبسه أو ربطه أو ضربه أو صلب أو قتله أو نفيه أو نهب ماله أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية . لكل داء دواء ولكل مقام مقال . وفعال بحسب ما يظهر الأحوال .

فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب بالأقوال والأفعال وسائر الأحوال ولا تصبر لمن تعمد ذلك ولم ينته لأن ردع ذلك ومثله حق الله تعالي ورسوله وامنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدم وغير ذلك من المحرمات . وامنع كفار بلادك من أن يظهروا ذلك بين المسلمين في الأسواق والمنازل وغيرها من المجلات فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر في رمضان أو زنا أو غير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم لكان ذلك ذريعة لأن يفعل مثل فعلهم ضعفة العقول من العامة والنسوان والصبيان لاسيما والغالب علي أهل تلك البلاد الجهل والهوي وأصلهم كان ذلك . وقد قال العلماء الرجوع إلى الأصل يكون بأدني سبب فانههم عن ذلك وأشهر إنكاره وتوعد بالعقوبة لمن فعله . ثم بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه ويردع مثله وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلا بقطع يده أو رجله أو صلبه أو قتله أوغير ذلك من الروادع الشرعية فافعله لأنه ظالم والظالم أحق أن يحمل عليه . ولكن لا تفعل بالمفسد ما هو أشد في ردعه إلا إذا رأيت أنه يرجع بغيره مثال

ذلك من لم ينته من الناس من عمل الخمر إلا بنهب أموالهم أو حرق بيوتهم أو إجلائهم أوبيع الكفار منهم أو غير ذلك فافعله ولا تبال ومن لم يستر أمته أو عبده ولم ينته إلا ببيعه عليه أو بأخذه منه فأفعل ولا تبال وكذلك من يغش بمسحات ناقصات وأبى أن ينتهي عن المعاملة بها فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين وأما من لم يغش بها ولا أبى أن ينتهي فمره بإصلاحها إن أراد المعاملة.

وكذلك من يتلقي ما يأتي للسوق من طعام وغيره فيشتريه قبل وصوله للسوق أو بعد وصوله ويبيعه على يده وإن لم ينتهوا إلا بنفيهم أو نهب ذلك منهم فافعل لأن مقصد الشارع في الروادع درء المفاسد وجلب المصالح بحسب الإمكان في كل زمان ومكان وليس الخبر كالعيان ولذلك قال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: «تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور» فلا بد من إزالة الفساد على كل حال وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى فدرء المفسدة الكبرى أولي وهذا الذي بيننا لك يكفيك إن شاء الله في تلك المناكر وغيرها وأن الناس في حكم الله ورسوله سواء. فلا تخرج من ذلك عالمًا ولا عابدًا ولا شريفًا ولا أميرًا وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوي لا بالهوى ومن عارضك في شيء من ذلك فعاقبه بما فيه ردع له ولمثله وإن لم يمكن إلا بقطع يده أو رجله أونفيه أو صلبه فافعله ولا تبال ولكن بعد ثبوت وتثبت في ذلك كله ومقابلة كل واحد بما يليق به بحسب حاله من الخير والشر والتواضع والطغيان فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان حتي يعتدل الميزان وليس الخبر كالعيان والله المستعان وعليه التكلان. وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية وكلما نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرف ذلك وإذا نسيت شيئًا منه فلا تنس أن

من غير حكم الله فقد كفر ومن تغيرُّ حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضيًا لأنه يحكم بالظلم وهو يقول هذا هو الشرع ومن فعل ذلك فهو كافر لأنه صيّر الباطل حقًا والحق باطلاً فإن كان لابد من أن تجعل بعض الظالمين حاكمًا فلا تجعله باسم القاضي فإن القضاء من صفات رسول الله لا يوصف به إلا عالم تقي لا يأخذ الرشا ولا يحكم بالهوي.

الله الله الله وهذه الوصية هي أوكد جميع الوصايا أما يكفيك أن تظلموا باسم السلطنة فتكونوا مذبذبين ترجون رحمة الله ثم تظلمون باسم الشرع حتي تكونوا كفاراً والكافر لا نصيب له من رحمة الله فطهر مقام الشريعة من خبث لأنه مقام رسول الله لعل الله أن يغفر لك ذنوبك جميعها والسلام على من اتبع الهدي كتبه ٨٩٧هـ.

والإمام المغيلي كما وصفه صاحب كتاب البستان خاتمة المحققين قام على يهود توات ونازلهم وقاتلهم وهدم كنائسهم وخلفه في ذلك بعض العلماء ومنهم قاضي توات وعلماء فاس وتونس فخرج المغيلي من تلمسان وارتحل إلى بلاد آهير وتكدة وكشنة وكانوا وغاو عاصمة بلاد سنغاي وقد نزل ضيفًا على محمد أسكيا ثم رجع إلى توات وتوفي ٩٠٩هـ.

وتكشف هذه الوصية عن بعد غور المغيلي وطول باعه في الفقه والقضاء الإسلامي كما تدل عبارات الوصية على تحكم الإسلام والعلم والثقافة في أجهزة الحكومة مما يثبت قدم الإسلام بتلك الجهات منذ أبعد أمد قبل نزول المغيلي بها.

ومن هذا القبيل رسالة الإمام المحدث الحافظ السيوطي لأمراء بلاد التكرور عمومًا ولسلطان كاشنة خصوصًا ونصها:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] من الفقير عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي إلى الملوك والسلاطين في بلاد التكرور عمومًا وإلي الملك الزاهد محمد بن صطفو صاحب أكدز وأخوته محمد وعمرو ا بن أختهم محمد بن عبد الرحمن وإلى الملك إبراهيم صاحب كاشنة خصوصًا سلام عليكم ورحمة الله.

أما بعد:

فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد ثم أوصيكم يتقوي الله عز وجل فإنها رأس الأمر وسنامه وقد فاز وأفلح من كان بها اعتصامه واحتكموا على العدل بين الرعية والوقوف عند حدود الأحكام الشرعية ولا يغرن امرءًا منكم ما آتاه الله من الملك والسلطنة وما خوله من زينة الحياة الدنيا فإنما الدنيا كلها سنة منام ولابد أن يستيقظ من السنة وقد بلغني من أحدكم أنه يذكر له الحكم الشرعي في واقعه المحكوم عليه ويضمه إليه ويحصنه ويحول بينه وبين صاحب الحق ويحضنه ويقول هذا دخل في ملكي أو جعل في سلطاني ويرد ما حكم به الشارع اغترارًا بالأماني أفلا يخشي أحدكم من مالك الملوك أن يجعل به العذاب الأكبر ويتنزل عليه سخطه في الدنيا قبل أن يقبر إن بطش ربك لشديد وما ربك بظلام للعبيد. أيغتر أحدكم بملكه الذي هو كقطرة ويريد أن يلقي حكم الله بإقامة ناموسه الذي لا يساوي عند الله جناح ذبابة. أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض أو يدكدك عليكم ما بين طولها والعرض. قال النبي ﷺ «**السلطان ظل الله على الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده وإذا عدل كان له الأجر**

وعلى الرعية الشكر وإذا جار كان له الإصر وعلى الرعية الصبر». وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال ماذا قلت يا رسول الله عن السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو؟

قال ظل الله تعالي في أرضه، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الصبر وعن النبي أيضًا أنه قال: صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي سلطان ظلوم غشوم عسوف وغال مارق في الدين.

وعنه أيضًا: ما من أحد يؤم علي عشرة فصاعدًا إلا جاء في الأصفاد والأغلال وفي لفظ إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يداه يفكه العدل أو يوبقه الجور.

وقال أيضًا: من ولي عشرًا فحكم بما أحبوا وكرهوا جيء به مغلولاً يده فإن عدل ولم يرتش ولم يجر فك الله عنه، وإن حكم بغير ما أنزل الله وارتشي وجار شدت يساره إلى يمناه ثم ألقي في قعر جهنم فلم يبلغ قعرها خمسمائة سنة.

وقال أيضًا: إذا كان يوم القيامة أتي بالوالي فيوقف على جسر فيأمر الله الجسر فينتفض انتفاضة يزول كل عظم من مكانه فيأمر الله العظام أن ترجع إلى مكانها ثم يسأله فإن كان مطيعًا أخذ بيده فأعطاه كفلين من رحمته وإن كان عاصيًا خرق به الجسر يهوي في جهنم مقدار سبعين خريفًا.

وقال أيضًا: ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة، المكذب بقدرة الله والزائد في كتاب الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والمسلط بالجبروت ليعز ما أذل الله ويذل ما عظم الله والمستحل لحرم الله والتارك لسنتي.

وقال أيضًا: ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة فلا يعدل بينهم إلا كبه الله في النار.

وقال أيضًا: أهل الجور وأعوانهم في النار.

وقال أيضًا: أشهد الله على الموالي من بعدي المارق على جماعة المسلمين ورحم صغيرهم وأجلّ كبيرهم وأعطى عمالهم لا يضرهم فيخذلهم ولا يحصرهم فيقطع نسلهم ولا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ولا يجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ألا هل بلغت اللهم أشهد.

وقال أيضًا: إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا.

وقال أيضًا: عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها، وجور ساعة أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة.

وقال أيضًا: السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدي ولذلك بذلت لكم النصيحة وبلغتكم ما جاء عن رسول الله من أحاديث النصيحة فأقيموا السلطنة بعدلها وأدوا الأمانة إلى أهلها.

ومما ينص عليكم بالخصوص قضية الحاج محمد الترجمان مع عبده الذي حاد عن الحق وحكم عليه القاضي محمد بن عبد الكريم بأنه باق في رقه وأمر بأن يسلم إلى مستحقه فأعنتم بعد على الباطل وجعلتم حكم الشرع الشريف كالعاطل فتوبوا إلى الله من هذه الموبقة ولا يحول بين السيد وعبده إلا أن يكاتبه باختياره أو يعتقه وقد بلغني أن محمد بن مريم أقلع عما كان عليه وتاب ورجع إلي الله وأناب هذا هو الذي يعتقه في المآب وبلغني من

أهل غوبر أن منهم من إذا مرض ذبح عبدًا له أو أمة ويزعم أن ذلك يفديه من الموت فما أكفره فيما صنعه وفيما زعمه وهذا ما يسوله الشيطان ومما يزينه من العدوان ومما يؤول صاحبه إلى الكفران فليعلم من بعد ذلك أن الله بريء منه ورسوله وليس هو يبلغ بذلك مناه وسوله ولو أعتقه كان أقرب إلى الفداء بعيدًا عن الاعتداء فمن أعرض له أمر فليعرضه على حملة الشريعة ويسأل عالمًا يوثق بعلمه ويجب عليه أن يطيعه. واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

وبهذه الرسالة يتضح جليًا مدى الصلة الكائنة بين مسلمي نيجيريا وبين أقطاب العلم في العالم الإسلامي والإمام السيوطي هذا غني عن التعريف وقد طلب العلم بمصر ثم ارتحل إلي الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور ودخل آكدز وكاشنة وكنو وغيرها ثم عاد إلى مصر وتصدر للتدريس والتأليف حتي بلغت مؤلفاته نحو ستمائة كتاب وتوفي ٩١١هـ.

ولم يزل القضاء الإسلامي معمولاً به في الشمال حتى الآن غير أنه محدود في الأحوال الشخصية وبعض المعاملات.

ولما تسربت الفوضى إلى القضاء رأت الحكومة الشمالية أنه لابد من إنشاء مدرسة قضائية وتأسست بذلك تلك المدرسة في كنو ١٩٣٤م بالتعاون مع مصلحة القضاء السودانية واستدعي لهذه المهمة أساتذة من كلية غردون بالسودان وهم الشيخ محمد بشير والشيخ عوض وآخرون.

«القضاء البريطاني»:

بدأ منذ سنة ١٩٠٠م يسري نفوذ القانون البريطاني على القضاء النيجيري إلى أن أعطي مجلس التشريع سنة ١٩٢٣م حق سن القوانين

وتعديلها في الجنوب. أما الإقليم الشمالي فمتروك للأمراء أن يتصرفوا فيها على وفق الشريعة الإسلامية مع بعض تعديلات في الأحكام الجنائية ولا يطبق القضاء الإنجليزي هذا إلا على غير المسلم.

وفي سنة ١٩٥٤م نص الدستور على أن القانون الذي يسن بمجلس النيابة العامة بلاغوس يجب أن يعمّ نيجيريا بأسرها وفي الوقت نفسه يحق لمجالس الأقاليم أن تسن ما يلزمها من القوانين المحلية وتطورت المحاكم إلى عدة أوضاع في فترات مختلفة حتى انتهت إلي ثلاثة أنواع.

النوع الأول: المحاكم الوطنية وهي التي تحكم فيها الزعماء والشيوخ والملوك في الإقليم الجنوبي ويحكم فيها القضاة الشرعيون الإسلاميون في الإقليم الشمالي ويستأنف منها إلى:

النوع الثاني: المحاكم الإقليمية وهي التي تكون بالمدن الكبري ويحكم فيها خريجو كليات الحقوق من إنجلترا ويمثل القانون فيها المحامون ويستأنف منها إلى:

النوع الثالث: وهي المحكمة الفيدرالية العليا ويحكم فيها كبار القضاة مع مشاورة المحلفين ويستأنف منها إلى المجلس الأعلى الذي يرأسه الحاكم العام.

ويحلف الشاهد المسلم في المحاكم بالقرآن واضعًا يده على المصحف كما يحلف الشاهد المسيحي على الإنجيل والشاهد الوثني على الحديد أو ما يقدسه. ويقدم حلفه هذا قبل البدء في الكلام أمام القاضي.

«الكتابة»:

كان النيجيريون بأصالتهم أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ ولم تنتشر الكتابة في الشرق قبل هجرة المهاجرين منهم إلى نيجيريا. غير أن بعض طبقاتهم قد

استفادوا من المصريين أو من يشابههم الكتابة الهيروغليفية لأنها منتشرة في نيجيريا إلى عهد قريب ولا تزال آثارها باقية في القري والأرياف على أبواب ملوكهم وعلى أعمدة وجدران منازلهم.

وكانت مراسلاتهم برموز يعرفون فكوكها في شتى الأغراض في السلم والحرب والقبول والرفض والتبشير والإنذار.

ومن مراسلاتهم خطوط الرمل الستة عشر وهم يخطونها بالجص الأحمر والأبيض على أوراق الأشجار وإليك أمثلتها:

 يدل على الموت والشر.

 يدل على النفس والحياة.

 يدل على السفر والغياب.

 يدل على المال والكسب

 يدل على السلطة والحكم.

 يدل على الإخاء والمودة.

 يدل على الآباء والأمهات

والكبار والأعيان.

 يدل على الرجاء والسعادة.

 يدل على الأولاد والخدم.

 يدل على الحزن واليأس.

 يدل على الأسقام والهموم.

 يدل على السر والسؤال.

 يدل على النساء.

 يدل على المطلوب.

 يدل على عاقبة الأمر.

 يدل على الجماعة والمسائل العامة.

ولا يتفاهم بهذه الأشكال غير الكهان فإذا أرادوا كلامًا رتبوا هذه الأشكال والخطوط مع بعضها فيفهم المخاطب مقصود المتكلم.

ودخلت الكتابة العربية إلي نيجيريا بدخول الإسلام وكان علماء هوسا ويوربا يكتبون بالأحرف العربية لغتهم على طراز ما كان يفعل الفرس والترك ويسمونها الكتابة الأعجمية ولقد كتبوا بها عدة كتب علمية أدبية دينية. وفي أواسط القرن الماضي اضطر المبشرون إلى ترجمة الإنجيل إلى لغة يوربا فدفعهم التعصب اللدود إلى العدول عن الأحرف العربية حتى لا يكون ذلك شرفًا للإسلام فعينوا ثلاثة من أساقفتهم وعلى رأسهم سمويل أجاي كراوثر وكَلفوهم اختراع الأحرف اليوربوية من الكتابة اللاتينية واخرجوا بها ترجمة الإنجيل ونشروها في المكاتب والمدارس فصارت اللغة اليوربوية تكتب بها اليوم وهي خمسة وعشرون حرفًا كالآتي:

A B D E E F G GB I H J K L M N O Ọ P R Ṣ T U W Y.

ثم هاجم التبشير الاستعماري الكتابة الهوسوية التي كانت تكتب بالعربية فغيرها إلى الحروف اللاتينية أيضًا فصارت تكتب بها الآن وكان علماء نيجيريا يكتبون بالخط الكوفي القَديم وهو ما يعرف اليوم بالخط المغربي ثم بدأ خط النسخ ينتشر الآن ويسمونه بالخط الشرقي أما الخط الرقعي فلا يستعمله إلا قلائل.

«اللغة»:

في نيجيريا عدة لغات يتكلم بها كل قبيلة وأهمها لغة هوسا التي امتازت على سائر اللغات بغرب أفريقيا لخفتها وسهولة التعبير بها وانضباطها بقواعد ثابتة كالعربية.

ويبلغ عدد من يتكلم بها كاللغة الأصلية عشرة ملايين عدا من يتكلم بها كلغة ثانوية من سكان الإقليم كالفلانيين والبرناويين والنوفاويين وغيرهم.

وانتشرت لغة هوسا في غرب أفريقيا بسبب انتشار قبائلها للتجارة والسياحة وتكوينهم جاليات كبري في كل قطر وفي كل مدينة هامة. ويقول شيخنا المرحوم آدم الكنوي أن أول من تكلم بها رجل عربي اسمه هوذه ونسبت إليه وقد هاجر إلى هذه البلاد واختلط بأهلها وتولدت من لسانه هذه اللغة المنسوبة إليه التي صارت لغة رسمية في الإقليم الشمالي بعد قرون قبل الاستعمار.

والظاهر أن لكل قبيلة لغتها الخاصة قبل استيلاء لغة هوسا على جميعها ولقد أخذت الهوسوية من قواعد النحو العربي الضمائر المؤنثة والمذكرة وجموع التكسير وضمائر المتكلم والغائب والمخاطب كما أخذت التعداد من العشرين إلى التسعين.

وفي الهوسوية كمية كبيرة من لغات الأجناس المتهوسة من الزنج والبربر والنوبة كما أنها قد اقتبست من اللغة الإنجليزية أسماء المخترعات الحديثة والمصطلحات السياسية.

ثم لغة إيبو التي يتكلم بها من يبلغون ثمانية ملايين وإن كان يوجد في قبائلها من يختلف لهجاتهم فشأنها في ذلك شأن غيرها من اللغات.

أما لغة يوربا فهي التي تحتل الدرجة الثالثة بين لغات نيجيريا كثرة وانتشاراً إذ يبلغ المتكلمون بها في الإقليم الغربي نحو خمسة ملايين سوى

المتوزعين منهم في الإقليم الشمالي وبلاد الداهومي وتوغو وغانة وساحل العاج وهم لا يقلون عن ثلاثة ملايين في جميع تلك الأقطار.

وقد تفرعت اليوربوية من العربية كما تحمل كمية كبيرة من اللغة المصرية القديمة وقد قرر ذلك الدكتور لوكاس في أديان يوربا ويعسر استقصاء الكلمات العربية التي تنازلت إلى اليوربوية إذ منها ما اتحدت لفظًا ومعنى ولم يسقط منها إلا حرف أو حرفان ومنها ما تحرف يسيرًا ومنها ما تبدل بحرف آخر.

ولقد راعينا أن أكثر كلماتها ثلاثية كما راعينا في التحريف والتبديل تقارب الحرفين كإبدال الجيم ياء وبالعكس في نحو كلمة «أوجّو» بمعنى اليوم وفي كلمة «إيجَو» بمعني الحية وفي كلمة جنَا بمعني ينع.

ومن التحريف أيضًا إبدال لام التعريف واوا في نحوا وجَو من اليوم وفي أومي من الماء وفي عودن من العيد أو إبدالها ياء في ايشو من الشيطان وايْسَو من الثمر.

وقد أخذت اليوربوية قليلا من الهوسوية بسبب احتكاك بعضهم ببعض عن طريق التجارة وغيرها. كما أخذت من الإنجليزية قسطًا للحاجات العصرية.

ومما حذف في وسط الكلمة حرف			ومما سقطت منه حروف		
العربية		اليوربوية	العربية		اليوربوية
الدنيا	-	أيئ	التاريخ	-	إيتن
الكرى	-	أورن	الترتيب	-	أيتو
الأمر	-	أورو			
الخزي	-	أيسن			
أوجد	-	أودا			
لزم	-	لوما			
العلم	-	عما			

ونذكر هنا على سبيل المثال ما اشتقت من العربية منها وهي كالآتي:

العربية		الهوسوية	العربية		الهوسوية	العربية		الهوسوية
اليوم	-	يوو	المشاورة	-	شاورة	العافية	-	لافيا
الأب	-	أويا	الإبرة	-	الوره	الصحبة	-	سابا
الله	-	اللا	الوقت	-	لوقتي	العدد	-	عددي
النبي	-	النبي	القبر	-	كبرى	النقل	-	نقلي
الصدقة	-	صدقا	المقص	-	المقاجي	البيان	-	بياني
الصلاة	-	صلاً	الكحل	-	كولي	المهاجر	-	الماجري
الصوم	-	أزمى	مقالة	-	مقنا	الموت	-	موتوا
القراءة	-	قراتو	الداية	-	دبه			
الأمر	-	الأمري	العذر	-	حنذري			
الذنب	-	ذنوبي	الليمون	-	لليمو			
العيب	-	لا يفي	الصابون	-	صابلو			
الأخبار	-	لا باري	القدر	-	القدري			
الحساب	-	لفسافي	الطاقية	-	تاغيا			
التدبير	-	داره	الدينا	-	دونيا			
الربح	-	ريبا	الأخرة	-	لاخره			
الحق	-	الأكي	كرامة	-	غرْما			
اللحم	-	ناما	العقل	-	هنكلي			
البصل	-	البصا	اللسان	-	هلثن			
المرأة	-	ماتا	البندقية	-	بندغا			
خسارة	-	أسارا	الإعارة	-	أرَو			
أين	-	إنا	الفضاء	-	فيلي			
بل	-	برى	بعد	-	بايا			

أمثلة ما اتحدت كلماته ومعناياته إلا بتحريف يسير :

العربية		اليوربوية	العربية		اليوربوية	العربية		اليوربوية
يعرب	-	يوربا	الهبوب	-	هيفوف	الخيبة	-	أوفر
الله	-	الوهن	الصبر	-	صورو	العوره	-	أره
الوجه	-	ايوَجو	البعل	-	باعلي	العيب	-	أيبو
الأصيل	-	أسالى	السر	-	أيسري	العيب	-	أيي
السهل	-	إسلىَ	الحي	-	آلايىَ	القلة	-	كيري
العيد	-	عودن	الحنان	-	ألانو	الخط	-	هنطو
القرن	-	أوغورن	العافية	-	ألافيا	أعني	-	أني
التالي	-	أيتلىَ	عيال	-	عيالي	يرى	-	يورى
العز	-	إيي	حكاية	-	أكوشي	عسر	-	ايسورو
العقل	-	لعكي	العير	-	أيرو	الأخرى	-	أورن
الحد	-	أودي	اللص	-	أولوشا	الربيع	-	أيري
القوة	-	أوغو	الحية	-	إيجو	الغول	-	أيغن
الدعاء	-	أدوا	الحجرة	-	إيارة	الريح الكريه	-	أورن
الأجير	-	الأرو	علاوة	-	إيلي	لدى	-	لودو
الهراء	-	إرَوَ	اللتي	-	اييتي	الضرة	-	إنيره
الوالي	-	أوَلوا	آلة	-	أيلو	أي شيء	-	أيشي
الدجاج	-	إديىَ	الحر	-	أور	البتة	-	بتابتا
الأبرة	-	أبيري	الهيجا	-	أجا	حصل	-	أوشيلي
	-		القمقم	-	إكوكو	جرى	-	سرى
الأحمق	-	أومفو	الجاني	-	إليجو	فتيلة	-	فتيلا
الكرة	-	أيكو	الخير	-	أورى	صفر	-	سوفي

وفيما حذف منه الحرف الأخير ومما حذف منها الحرفان الأخيران والمعنى واحد

العربية		اليوربوية	العربية		اليوربوية	العربية		اليوربوية
الثوب	-	اشو	اللغز	-	اللو	الراحلة	-	إيرن
الأوثان	-	أوشا	الجبن	-	أوجو	الثمر	-	أيسو
الأحلام	-	آلا	الأودية	-	أودو	الدبر	-	أيدي
الليل	-	أللى	الذباب	-	أيشن	القمة	-	أوكي
الرعد	-	الرع	الديدان	-	إيدن	الشمال	-	أوسي
الأعرج	-	أرو	الودع	-	أووو	الشيطان	-	أيشو
النار	-	إلنا	البحر	-	أيبو	الشكس	-	الشا
الماء	-	أومى	القلب	-	أوكن	التاريخ	-	ايتن
السعي	-	إيشى	الأطراس	-	ترا	الرقبة	-	أورن
الأواني	-	آوو	الظهر	-	أوسن	الرقبة	-	أيروكن
الضروج	-	فرو	الغزو	-	أوغن	السحب	-	أيسو
الرأس	-	أورى	الذوابة	-	آسو	الدليل	-	أيدي
التاج	-	أدي	الشهر	-	أوشو	الزخرف	-	أوشو
الذروة	-	سورو	هلال شهر	-	أليشو	الصقر	-	الشا
البغل	-	إياكا	الغدير	-	إكودو			
الحصان	-	أيشن						
الخاصة	-	إيشا						
الحلة	-	آلو						
لعك	-	لع						
العقم	-	آغن						

«المواصلات»:

كانت الخيل والبغال والحمير والجمال أهم وسائل النقل والاتصال في نيجيريا القديمة خصوصًا في الإقليم الشمالي.

وأنشئت منذ قرن الطرق المعبدة التي تسير عليها السيارات التي تنقل المسافرين والبضائع من بلد إلى آخر.

فمن لاغوس إلى داخل بلاد يوربا حتى بلاد هوسا طريق معبدة تتفرع منها عدة طرق أخرى إلى المدن الرئيسية.

وفي سنة ١٨٩٦م أنشئت السكة الحديدية التي تربط بين لاغوس العاصمة وسائر الأقاليم الثلاثة.

ومن لاغوس خط إلى الشمال وطوله بالتقريب ألف ميل ويمر بالمدن الهامة كإبادن وكادونا وكُغرو حتى ميدغر عاصمة بلاد بونو ومن كادونا يمتد خط آخر إلى بورت هاكوت في الإقليم الشرقي ويمر بإينوغو ومكرطي وطوله ٥٦٩ ميلاً.

أما الخطوط الجوية فقد أنشئت سنة ١٩٣٦م ففي مدينتي كانو ولاغوس مطاران دوليان تهبط فيهما الطائرات الدولية.

أما المواصلات البحرية ففي كل من بورت هاكوت بالإقليم الشرقي ولاغوس العاصمة ميناء كبير ترسو فيها البواخر الوافدة من أوروبا وأمريكا وأستراليا وآسيا وأفريقيا تنقل البضائع منها وإليها.

ولقد كانت شمال نيجيريا متصلة بشمال عبر الصحراء منذ مئات السنين وكانت التجارة بين طنجة وتمبكتو كما كانت بين كانو وتونس والمغرب وبين برنو وطرابلس والقاهرة والسودان الشرقي.

لقد عاشت في شمال أفريقيا أمم مختلفة الأجناس والعناصر منهم الفينيقيون والقرطاجيون والروم والعرب الذين كانوا رجال علم وصناعة وتجارة وكانوا أساتذة العالم بأسره في المدنية والحضارة ولقد رددت غرب أفريقيا صدي الأحداث التي جرت في الشمال وتأثرت بمؤثراتها.

فقامت فيها دول وممالك كتب لها التاريخ ذكريات ذهبية لولا الحروب الهدامة التي لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم لانتفعنا اليوم وقبل اليوم بآثارها الحضارية ومخلفاتها العلمية.

ومن قبيل ذلك أن سلطان مراكش حارب ملوك سنغاي على مناجم الملح والذهب بقيادة غودر باشا وانتصر بعد اللتيا والتي فاتهم علماء جامعة تمبكتو بإثارة الشعب على الثورة ضده فأمر بإحضار الجميع في جامع سنكور فحبسهم أيامًا ثم أرسلهم تحت حراسة قاسية لبيعهم عبيدًا في أسواق مراكش فمات في الصحراء أكثرهم غمًا وعطشا ثم أمر بإحراق منازلهم ومكتبة الجامعة التي تحتوي علي نفائس الكتب المخطوطة لأنه رجل أمي فاحترق جميع ما فيها من كتب العلوم والتاريخ فانطفأ نور المدنية السودانية.

ونحن نذكر هنا طائفة من دول شمال أفريقيا التي أوحت إلى غربها بإنشاء دولها على دورها أو التي امتدت من الشمال حتى الجنوب.

أولاً: دولة الفينيقيين التي على ساحل سوريا ولبنان وكان أهلها رجال فتح وتجارة وقد فتحوا الممالك والأقطار بمصنوعاتهم ومبادئ مدنياتهم ولم يتركوا بقعة من بقاع الأرض إلا دخلوها وتركوا فيها آثارهم. وهم أول من فتح التجارة بين شمال أفريقيا وغربها.

ثانيًا: دولة القرطاجيين الذين بنوا مدينة القرطاجنة بالقرب من مقام تونس اليوم وهم قوم من الفينيقيين وكانت بينهم وبين الرومانيين حروب طاحنة انتهت بغلبة الروم عليهم فاحتلوا مدينتهم ووقعت الأفريقية التي كانت للقرطاجنة تحت حوزتهم سنة ١٤٦ قبل الميلاد.

وقد كان للقرطاجنيين سياحة وتجارة كسلفهم الفينيقيين وقد جابوا الصحراء حتى وصلوا إلى مواطن الزنوج يحملون إليهم أنواع الأنسجة والملابس واللآلىء والنحاس ويعودون بالذهب والعبيد والعاج وريش النعام.

ثالثًا: دولة الرومانيين وهم الذين حاربوا الأمم المجاورة لهم من كل جهة فحاربوا اليونان والفرس ثم أجازوا إلى أفريقيا وحاربوا قرطاجة فملوكها ثم أغار عليهم البربر من أهل أفريقيا وحاصروا روما حصاراً طويلاً ودامت الفتن بينهم مائة وعشرين عامًا ثم وقعت الهدنة التي وفد فيها عتون من ملوك أفريقيا على ملك الروم الأعظم مقدونيا وإسكندرية.

ثم دارت الحرب بين أهل روما وملك النوبة واستظهر ملك النوبة بالبربر على روما فانهزم هو وحلفاؤه أمام جيوش روما فوقعت بذلك بلاد النوبة والبربر وشمال أفريقيا في قبضة روما وعدوها من مستعمراتها.

«غرب أفريقيا»:

أما الممالك التي قامت بغرب أفريقيا فلم يحفظ التاريخ لنا منها إلا قليلاً وأقدمها في سطور التاريخ هي مملكة غانا التي أسسها قوم من الساميين البيض. وقد انحدروا إليها من الشمال عبر الصحراء وامتزجوا بسكانها الأولين فتكونت منهم شعب ونغارة.

وقد بلغ عدد ملوك غانة البيضان نحو أربعة وأربعين ملكًا ثم انتقلت إلى أحفادهم السود.

واختلف المؤرخون في تاريخ بدء المملكة وارجح أقوالهم أنها قامت (٦٢٢) ميلادية وبلغ أوج مجدها في القرن العاشر.

وقد ضربت العاصمة بنصيب كبير من الحضارة والعمران والتنظيم وقد كان لها جيش مؤلف من اثني عشر ألف محارب وكانت العاصمة مقسومة إلى قسمين عظيمين القسم الإسلامي والقسم الوثني وكان يعيش الطرفان جنبًا إلى جنب في أمن وطمأنينة.

وقد كان الملك يدعي بلقب غانة أي زعيم الحرب «القائد الأعلى» ثم صار هذا اللقب علما للملكة.

وقد غزت غانة جميع البلدان المجاورة لها حتى شواطئ المحيط غربًا وجنوبًا ووضعت نفوذها على الصحراء شرقًا وشمالاً وصارت محط رحال التجار من العرب والبربر والنوبة وغيرهم زمنًا طويلاً.

وقد زار غانة الرحالة العربي الأسباني محمد البكري ١٠٦٦م وذلك قبل سقوطها بقليل وأدرك فيها اثنى عشر جامعًا إلى جانب عدد من المدارس القرآنية والعلمية بالحي الإسلامي.

كما وجد بالحي الوثني الذي يضم القصر الملكي بعض المساجد أيضًا وكان بالقصر نفسه جامع عظيم بناه الملك لبعض وزرائه وأعوانه المسلمين حتى يتمكنوا من أداء صلواتهم اليومية إلى جانب وظائفهم الرسمية.

وفي سنة ١٠٧٦م هاجم البرابرة البيض من الشمال عاصمة غانة

واستولوا عليها وكان من المهاجمين جيش مؤلف من التوارك الملثمين رعاة البقر الذين يرتادون لها أطيب المراعى .

طلب هؤلاء من قائدهم أرضًا تصلح لرعاية أبقارهم بها فأقطع لهم الجهات القريبة من نهر النيجر فبنوا بها مخزنًا يرتاحون فيها عند الظهيرة ويدخرون أدواتهم ولوازمهم .

فاختاروا عجوزًا تدعى تمبكتو لتحرس لهم المخزن عند غيابهم ولم يطل الزمان حتى أصبح المكان محطة القوافل متسمًا باسم العجوز التى تؤويها إلى دارها الصغيرة وتقدم لها ما لديها من القرى والخدمات فبنت بها مسجدًا قرب المخزن ثم صارت بالتدريج سوقًا يلتقى بها الركبان والتجار من سائر أنحاء البلاد المجاورة فأصبحت بعد ذلك مدينة خالدة على التاريخ .

«دولة المرابطين»

تأسست هذه الدولة بالقرن الثالث الهجري ثم انقسمت قسمين قسم حكم في الشمال وأنشأ مراكش وامتد نفوذه إلى أسبانيا وقسم حكم في الجنوب ولكن هذا الحكم الجنوبى لم يدم أكثر من قرن لأنه تعرض للحروب الدينية بين قبائل الزنوج ومن آخر أمرائها أبو بكر بن عمر الذى قتل شهيدًا فى إحدى غزواته سنة ١٠٨٧م .

وقد ابتدأت دولة المرابطين سنة ١٠٣٣م على أثر عودة الأمير يحيى ابن إبراهيم أمير البرابرة الملثمين من مكة المكرمة .

وكان هذا الأمير تقيًا ورعًا قبل حجه ولما حج أدرك أن بلاده بحاجة إلى التوجيه الصحيح والإرشاد المستقيم وأن الإسلام عنده مشوب بالخرافات

التى يجب تطهيره عنها فاصطحب معه عالمًا بربريًا يدعى عبد الله بن ياسين ليساعده فى إصلاح أحوال المسلمين وعقائدهم .

فلقى هذا الأمير وهذا العالم من الناس معارضة شديدة من أجل هذا الإصلاح فدب اليأس إلى قلبهما فهجرا البلاد إلى جنوب السنغال ليعتزلا الناس هناك حتى الممات .

ولكن الناس بعد ذلك ندموا على ما فعلوا فإندفعوا نحوهما بالتقربات والتبرعات التى صارت رباطًا عظيمًا وتكونت بذلك حولهما جماعة من المؤمنين فبدأت دولة المرابطين ثم انقسمت الدولة قسمين اتجه قسم صوب الشمال فأنشأ دولة مراكش واتجه الآخر نحو الجنوب فتناثر فى جهات مالي وغانه وتكرور وغيرها .

«مملكة مالي»

يسكن بالجنوب الغربي من أرض غانه قوم الفلانيين كانوا رعايا الغانويين حينا من الدهر ولما إنقادت دولة غانه للتدهور والإنحطاط في عهد ملكها المسمى عثمان عورو إنفسح المجال لدولة مالي أن تدخل في ميدان التاريخ والسياسة في أوائل القرن الثالث عشر .

والواقع أن شعب مالي لم يتحرر من نير غانه في سلام وهدوء ولكنهم تحرروا بعد نضال مرير وكفاح عنيف راح ضحيته أحد عشر بطلاً من أبطالهم تحت أنياب جنود عثمان غورو ملك غانه وأظفارهم .

ومن بين غبار هذه المأساة وفورة تلك الأزمة ظهر زعيم من زعماء مالي يدعى سندياتا الذي تلقب بمارى جاتا ومعناه الأمير الأسد تبلورت في نفسه

الوطنية الصرفة وانطلقت صرخته المدوية إلى أبناء الشعب فإستجابت لها نخبة من الذين تأثروا بهذا الوقع الأليم فوحد صفوفهم المتفرقة وتألفت منهم قوة عسكرية هائلة قاوموا بها طغيان ملك غانه وعدوانه فانتصروا عليه وقتلوه وخربوا عاصمته سنة ١٢٤٠م.

فبدأت مالي تمارس نشاطها في السودان الغربي كله وحققت آمالها في الصناعة والسياسة والإقتصاد وامتدت إمبراطوريتها من جبال الأطلس غربًا إلى بلاد هوسا شرقًا ومن المحيط الأطلسي جنوبًا حتى الصحراء الكبرى شمالاً.

وحج ماري جاتا شكرًا لله تعالى على هذا الإنتصار العظيم والتوفيق الذي حالفه وأعان العلماء في نشر العلم والإسلام وصار الذين يتولون على عرش المملكة يدعون بإسم منسا أى الملك الأكبر وأشهرهم هومنسا موسى الذى حج سنة ١٣٢٤م بجيش قوامه (١٦٠) ألف مقاتل وأمامه ٥٠٠ عبد يحملون عصا من ذهب يقدر كل واحد منها بأربعة ملايين من الجنيهات حتى أدهش البلاد التى مر بها في طريق ذهابه ورجع منسا موسى مع مهندس عربي يدعي أبا اسحاق الذي بنى له القصر الملكى البديع والمسجد الجامعي وكافأه الملك على هذا العمل بما يبلغ ٢٥ ألف جينه.

وفي عهده انتشر الإسلام في أكثر بلاد نيجيريا حتى كان اليربايون يدعون الإسلام بدين مالي إلى يومنا هذا حيث عرفوه في أول يوم من تجار مالي وسفرائها في بلاد يوربا خصوصًا في عويو العاصمة.

«دولة سنغى»

تقع بلاد سنغى بما يعرف اليوم بأرض دندى الواقعة بالإقليم الشمالي من

الداهومي وكانت عاصمتها تدعى مدينة غاو وشعب سنغى منحدر من أصل مزيج بين صنهاجة والفلان والتوارك والعجم.

وينقسم شعب سنغى إلى فريقين هما الصيادون والفلاحون وكان الصيادون يشنون الغارات اللصوصية على الفلاحين.

وفى سنة ٧٠٠ هجم البرابرة على سنغى وطاردوا الصيادين من معقلهم تحت قيادة زعيمهم الذي يلقب زا وتداول البرابرة فيما بينهم دولة سنغى زمنًا ثم آل إلى السود.

هاجم ملك مالي المسمى منسا سكورا وأدرج سنغى في مملكته ثم أعاد هذا الهجوم منسا موسى ثم تحرروا بعد وفاته.

وأول ملوك سنغى إسلامًا هو زاكوسح الذى تولى ١٠٠٩م ثم تعاقب على الملك بعده اثني عشر ملكًا مسلمًا.

وقد فشا فيهم الإسلام وأنجب منهم العلماء وأشهرهم الشيخ عبد العزيز التكرورى الذي ذكره أحمد بابا في تطريز الديباج.

لقد ظهرت دولة سنغى في مسرح التاريخ بعد تحررهم من نير مالي على يد بطلهم المسمى عليا والملقب سوني الذي يعتبر محرر الوطن الذي عاش ما بين ١٤٦٤م-١٤٩٣م وهو الذي أنعش سنغى ورفع رأسه أمام الدول والشعوب.

وكان له وزير يدعى محمد بن أبى بكر الطوري الذي دام في الوزارة لمدة ثلاثين سنة درس فيها أحوال البلاد وفطن آلامها وآمالها وأحبه الشعب لصلاحه وعدالته.

تولى على المملكة بعد وفاة سوني على رغم إرادة الأسرة المناوئة له وصاروا يرددون كلمة اسكيا الذي يعنى أليس هو محمد حتى صار لقباله، قام اسكيا محمد بتوطيد أواسى دولته المرسومة على خطط منظمة تكفل الأمن والإستقرار والرفاهية والهناء لبلاده.

وقام بالجهاد الإسلامي الذي امتد إلى أوسع نطاق بغرب إفريقيا سنة ١٥١٣م واكتسحت إمبراطوريته أقاليم غانة ومالي وتكرور وشمال نيجيريا كلها حتى صارت بلاد كانو وكاشنه واكدز ولايات تحت امبراطوريته المنقطعة النظير وقد قسمها إلى أربعة أقاليم يمتد الأول من بلاد دندى حتى بلاد هوسا والثاني من مدينة غاو حتى بلاد تمبكتو والثالث من شمال غاو حتى بلاد التوارك والرابع ما يشمل بلاد السنغال ويحمل حكام الولايات لقب فاري ولهم السلطة المطلقة على ولايتهم وقد اندرست آثار سنغى اليوم ولكن لغتها لا تزال مستعملة في بلاد اكدز حتى اليوم.

حج محمد أسكيا إلى بيت الله الحرام في أبهة الملك التي لا تقل عن روعة ملك منسا موسى مر على مصر وقلده سلطانها لقب أمير المؤمنين ولقي أعلام الإسلام بمصر والحجاز والمغرب.

لقى السيوطي والمغيلي واستفتاهم عن المسائل الدينية وكان محبًا للعلم والعلماء ومؤمنًا صادقًا ذا رحمة للفقراء صاحب الصلاح والتقوى حتى وصفه العلماء المؤرخون بما لم يصفوا به أحداً من ملوك السودان في التنظيم والعدالة والصلاح.

قامت هذه المملكة حول بحيرة تشاد وقد أسسها سنة ٨٠٠ قوم من البرابرة السود ثم إنتزعها منهم قوم من العرب المعروفين بالكانمبين ١٠٠٠ ولم تلبث أن صارت إمبراطورية عظيمة امتدت إلى ضفاف النيجر جنوبًا وإلى حدود مصر والحبشة شرقًا وشمالاً وإلى قلب الصحراء غربًا وقد قامت بهجمات على مملكة مالي أيام ضعفها وإنحطاطها.

وبلغت مملكة برنو أوج مجدها في القرنين الثاني والثالث عشر الميلادى وكانت متصلة اتصالاً وثيقًا مع مصر وتونس وغيرهما من بلاد العرب وقد تراسل الطرفان فيما بينهما بالرسائل التي سجلتها الدواوين الحكومية الإنشائية للذكرى والتاريخ.

ولما تولى عليها إدريس ألوما سنة ١٥٧١م أوفد إليها القوات العسكرية من الترك لتربية جنوده بالأساليب الحربية.

واستحضر الأسلحة النارية مما حول البحر الأبيض المتوسط وكانت الحرب بينها وبين قبائل بولالا سجالاً في عشرات السنين.

واحتفظت بعظمتها إلى أن هاجمتها جيوش ابن فودى ١٨٠٨م ثم طردهم منها الحاج أمين الكانمي وأعاد مجدها وآل إليه وإلى أبنائه حكم برنو ثم هاجمها رابح قائد جيوش سليمان بن الزبير باشا حاكم بحر الغزال من قبل مصر ١٨٩٣م ولم يستقر بها حتى قامت بينه وبين جيوش فرنسا معركة دامية انهزم فيها هزيمة نكراء أسفرت عن مصرعه وشاء القدر أن تقع برنو تحت حماية الإنجليز ١٩٠٠م.

«امبراطورية هوسا»

هي التي تتألف من سبع دول متحالفة ترجع فى تكوينها إلى أصل واحد كما مر ذكرها بالتفصيل فقد انطبعت هذه الإمبراطورية بالأحداث السياسية والتطورات الإجتماعية التي تتدفق تياراتها من الغرب كغانة ومالى وصوب الشرق والجنوب.

ومن الأوضاع التي تنساب أمواجها من مصر والحبشة وما جاورها حتى الغرب مما جعلت بلاد هوسا ملتقى الحضارتين السودانية والبيضانية ومعرض الثقافتين الشرقية والغربية.

«مملكة يوربا»

وهى امبراطورية واسعة تمتد من جنوب نهر النيجر إلى حدود بينوى وتكتسح بلاد بنين إلى المحيط الأطلسي حتى الدهوامي وفانتي وأشانتي وكانت عاصمتها مدينة «عويولي» ويحمل ملكها لقب ألافن ومعناه صاحب القصر. وقد تعرضت لهجمات النوبة حوالى ١٥٥٠ م التي نالت منها منالاً مريراً.

وتدهورت للانحطاط حين تعرضت لهجمات أشانتى وفانتي» والداهومي وبنين للتحرر من نيرها.

وقد قضى على نفوذها أخيراً قيام الإمبراطورية الفلانية بسوكوتو وفر آهلها من وجه جيوش الفلانيين وتركوا عاصمتهم القديمة إلى مكانهم الحالي بغرب نيجيريا.

أسسها عثمان بن فودي الفلاني الذي هاجر أجداده من بلاد فوتا إلى بلاد هوسا بالقرن الثالث عشر الميلادى واستوطنوها حتى ولد عثمان ١١٩٩هـ وتعلم العربية والثقافة الإسلامية وبرع فيها على أقرانه وكان خطيبًا مفوهًا يتحكم في نفوس سامعيه فاستطاع بذلك أن يؤلف من أتباعه جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوشى به بعض العلماء إلى الملك غوبر الذي لم يلبث أن أصدر أمره بنفي عثمان من بلاده فأعلن الشيخ وجوب الهجرة على جماعته فاندفع تيار عظيم يهاجر مع الشيخ فسقط فى يد الملك فلم يجد بدًا من منعهم وقطع طريقهم فاضطر ابن فودي إلى تكوين جيش إسلامى لمقاومة عدوان هذا الملك فلما هاله الأمر أسرع بالإرسال إلى حلفائه من ملوك هوسا يستنجدهم فاستجابوا له فوقف الجميع في صف وابن فودي وأتباعه في صف آخر فقامت بين الطرفين معارك عنيفة انتصر في جميعها عثمان بن فودي واصبح الذين ناصبوه العداء هباء لا ترى إلا مساكنهم فنصب الشيخ مكانهم من يراه أهلاً لذلك من أتباعه وقسم البلاد إلى قسمين جعل الأقاليم الغربية لابنه محمد بللو والأقاليم الشرقية لأخيه عبد الله وترتيب نوابه كالآتى :

(١) سليمان حاكمًا على كنو .

(٢) عمر دلاج حاكمًا على كاشنه .

(٣) يعقوب حاكمًا على بوشي .

(٤) بوبايرو حاكمًا على غمبي .

(٥) موسى حاكمًا على زكزك.

(٦) اسحاق حاكمًا على دوره.

(٧) عبد الله حاكمًا على كبى.

(٨) إبراهيم زاك حاكمًا على برنووكتاغم.

وهكذا نصب ابن فودي الولاة على تلك البلاد ثم أقام كل واحد منهم نائبًا له على مقاطعة غير أن الحاج محمد الكانمي استرد من بلاد برنو جانبًا كبيرًا.

«النخاسة»

تجارة الرقيق المعروفة في نظام الحروب القديمة ولقد كان الملوك والأغنياء يشترون الأسرى المأخذين من الحرب ليكونوا لهم عبيدًا يخدمونهم في الزراعة والتعمير ويتخذون من نسائهم أزواجًا. لا فرق في هذا بين الزنوج والمصريين واليهود واليونان والرومان والعرب وكل من تغلب على غيره في الحرب اتخذ من المغلوبين عبيدًا وإماء.

وفي القرن السادس عشر انفتحت أسواق النخاسة بسواحل غينيا للبرتغاليين وكانت مدينة لاغوس وبنين وبداغري أهم أسواق النخاسة في غرب إفريقيا حتى اشتهرت بساحل العبيد. وكان البرتغاليون يجلبونهم إلى بلادهم للزراعة وبعض أعمال أخرى شاقة فتبعهم الأسبان والإنجليز وفرنسا يجلبون العبيد من هذه السواحل ويبيعونهم إلى الأمريكيين يستخدمونهم في الأعمال الشاقة.

وفي سنة ١٧٧٢م أعلنت انجلترا حرية العبيد المقيمين في بلادها ومستعمراتها وظهرت من ذلك فكرة إنشاء وطن قومي للعبيد المتحررين بسيراليون وأنشأوا مدينة فريتاون بخمسة عشر ألف عبد معظمهم من الهند وانضم إليهم الآخرون من أمريكا فبلغ عددهم ثلاثين ألف حر نزلوا مدينة فريتاون بسيراليون.

فانتهز التبشير هذه الفرصة وأسرع إلى إنشاء كلية فورابي لتعليم هؤلاء الأحرار الجدد ولتخريج الأساقفة المبشرين منها ونجحت هذه الكلية وأخرجت عدداً كبيراً من المبشرين منهم سمويل أجاى كروثر الذي وضع أحرف الكتابة للغة يوربا.

ومن قبل جاء الإسلام ووجد أسرى الحروب في العالم أجمع يعاملون معاملة الحيوانات ويعيشون محرومين من الحقوق الإنسانية فشرع حسن معاملتهم والرفق والرحمة بهم وندب إلى تحريرهم عوضاً عن كثير من العقوبات الشرعية وتكفير للذنوب والجرائم ونهي المسلم عن أن يقول عبدي بل يقول غلامي وأسقط بعض العقوبات عن العبيد وجعلها نصف ما على الأحرار.

«الهجرة»

عبارة عن إنتقال قوم من موطنهم الأصلي إلى موطن آخر أطيب لهم وأريح وتقع الهجرة لعدة أسباب منها الفرار من أذى الجيران ومن الأحقاد والضغائن التي تحدث بين الأقارب والأنساب . أو من كثرة النسل وإزدحام المكان وضيق أسباب المعيشة والعمران . أو للرغبة في الإستيلاء على البلاد الغنية الخصبة للزراعة وتربية الحيوانات وللفرار من تشاؤم

بوقوع بلاء أو قحط أو غير ذلك . وقد حدثت عدة هجرات من مختلف بقاع العالم وبالهجرة انتشر البشر في أنحاء المعمورة.

لقدهاجر الساميون والحاميون من آسيا إلى إفريقيا أيام كانتا متصلتين وإنما انفصلتا بعد انشقاق البحر الأحمر في الأعصر القديمة جداً على حد أقوال الجغرافيين . ومن ذلك العصر دخل الناس من آسيا إلى إفريقيا وسكنوا شمالها وشرقها. فقد حدثت هجرات عديدة عرف العلماء بعضهم وجهلوا البعض كما عجز المؤرخون أن يعرفوا السكان الأولين لغرب إفريقيا هل هم الزنوج وغلبوهم على أمرهم وهو أرجح الأقوال وعلى ذلك تكون الهجرات كالآتي:

أولاً: هجرة الزنوج من موطنهم الأصلي المجهول بالتحقيق إلى غرب إفريقيا في عصور ما قبل التاريخ واستوطنوا غرب إفريقيا حتى صارت موطنًا لهم.

ثانيًا: هجرة قبائل بانيو من استراليا في موجتين متتابعتين إلى غرب أفريقيا.

ثالثًا: هجرة الملوك الرعاة وهم العرب الهيكسوس الذين حكموا مصر في عهد الأسرة الحادية عشرة وذلك ما بين ٢٢١٤-١٧٠٣م قبل الميلاد.

وفي عهدهم قدم النبي إبراهيم إلى مصر ونزل بنو إسرائيل فيها ومن ملوكهم حمورابي صاحب أقدم كتاب للتشريع في العالم المذكور اسمه في التوراة وقد طردهم من مصر مؤسس الأسرة الثامنة.

وانتشروا في بلاد البربر والنوبة والزنج وأسسوا بها دولتهم المندرسة في مصر.

رابعًا: هجرة العرب والبربر مع إفريقش أحد التبابعة من ملوك اليمن وقد خرج غازيًا من اليمن ومر بالشام وأخذ معه البرابرة الذين غلبهم يوشع تلميذ موسى وقتلهم واحتمل إفريقش طائفة منهم إلى إفريقيا في غزوه الذي قتل فيه ملك إفريقيا المسمى جرجيس . ويقال أن إفريقش هو الذي سمى البرابرة بهذا الإسم لأنه لما وصل الشام وسمع رطانتهم تعجب وقال: ما أكثر بربرتهم وقد ترك إفريقش في أفريقيا قبائل البربر وصنهاجة «سنغال» وكتامةالذين هم من قبائل حمير .

خامسًا: هجرة الليبيين والبرابرة من الشمال إلى جنوب الصحراء على أثر توالي الحروب والغزوات ومنهم تكونت قبائل التوارك والبول.

سادسًا: هجرة القبائل اليمنية وهى مرتان أولاهما بالقرن الثالث الميلادي بعد سيل العرم المعروف وقد هاجر أكثرهم إلى الشمال واتجه بعضهم نحو الجنوب واجتازوا إلى الحبشة وتغلغلوا منها إلى هذه النواحي.

وثانيتهما هجرة اليهود والنصارى والصابئة من اليمنيين الذين كرهوا الدخول في الإسلام أيام ظهوره في جزيرة العرب فهاجروا منها ومروا بباب المندب إلى الحبشة وانتشروا في شمال الصحراء وجنوبها.

سابعًا: هجرة العرب المسلمين للفتح الإسلامي بشمال إفريقيا وغربها ومن هذه الهجرات المتتابعة كان الناس ينزحون من آسيا إلى أفريقيا وينحدرون من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب واختلطوا مع البعض وتزاوجوا وتناسلوا وتكونت منهم هذه القبائل المختلفة وزعم بعض مؤرخي نيجيريا أن كسرى فارس وجماعته هاجروا إلى نيجيريا بالقرن

الثامن الميلادي فراراً من وجوه المسلمين الذين غلبوهم على أمرهم فكان منهم قبائل يوربا وبرنو وجوكن وهو تلفيق مزعوم وافتراض باطل لا أساس له من الصحة .

ذلك لأن يزدجرد الذي هو آخر ملوك الفرس قد قتله المسلمون في البصرة في عهد سيدنا عثمان وقد انقضت بموته الدولة الساسانية ولم تثبت هجرة أحد الأكاسرة قبله ولا بعده في تاريخ العالم .

وسلسلة أسماء الأكاسرة من عهد النبوة إلى إنقضاء أيامهم متصلة الحلقات لم يسقط أحد منهم من سلك التاريخ فلا يصح أن واحداً منهم هاجر إلى السودان كما يزعمون .

●●●

خريطة نيجيريا
حدود
مواصلات
مواصلات برية
مواصلات بحرية
مواصلات جوية
مواصلات نهرية
مواصلات بحيرية
مواصلات سكك حديدية
مواصلات طرق
مواصلات أنهار
مواصلات بحيرات
مواصلات مرتفعات
مواصلات منخفضات
مواصلات سهول
مواصلات هضاب
مواصلات جبال
مواصلات وديان
مواصلات شلالات
مواصلات خزانات
مواصلات سدود
مواصلات موانئ
مواصلات مطارات
مواصلات محطات
مواصلات مدن
مواصلات قرى
مواصلات عواصم
مواصلات حدود
مواصلات أنهار
مواصلات بحيرات
مواصلات مرتفعات
مواصلات منخفضات
مواصلات سهول
مواصلات هضاب
مواصلات جبال
مواصلات وديان
مواصلات شلالات
مواصلات خزانات
مواصلات سدود
مواصلات موانئ
مواصلات مطارات
مواصلات محطات
مواصلات مدن
مواصلات قرى
مواصلات عواصم

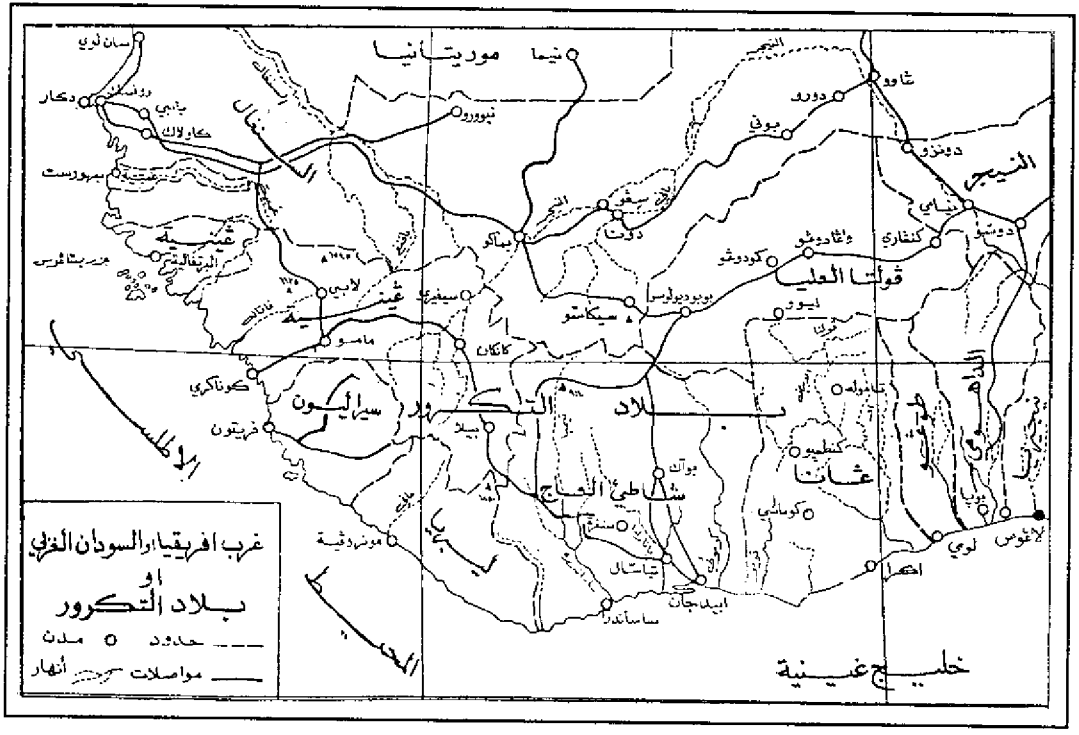
موريتانيا
النيجر
بلاد التكرور
غرب افريقيا او السودان الغربي
او
بلاد التكرور
حدود
مدن
مواصلات
انهار
خليج غينية
البحر الاحمر
سان لوي
دكار
باماكو
تمبوكتو
سيكاسو
كوناكري
فريتون
مونروفية
ابيدجان
ساسانداو
لاغوس
لوبي
اكرا
كوماسي
كنطمبو
تمالوله
بوبوديولاسو
سيغيري
كاكان
ماسو
لابي
نيما
نيورو
دوري
شاوه
يوفي
دوتزو
كنغاري
واغادوغو
كودوغو
دوغو
بوبو
ليبو
بوناكو
دوتا
سيغو
النيجر
ثغينية
ثغينية
ثغينية
قولتا العليا
غانا
توغو
داهومي
نيجيريا

مراجع الكتاب

- المراجع المطبوعة:

١- نحن في أفريقيا الغربية: تأليف كامل مروه.

٢- في بلاد الزنوج: تأليف عبد الله حشيمه.

٣- إنفاق الميسور: تأليف سلطان بللو بن فودي.

٤- المقدمة: تأليف ابن خلدون.

٥- المبتدأ والخبر: « « « « ».

٦- منجم العمران: على معجم البلدان.

٧- طبقات الأمم: تأليف جرجي زيدان.

٨- تاريخ أفريقيا الأستوائية: تأليف طلعت زهران.

- المراجع المخطوطة

١- تزيين الورقات: عبد الله بن فودي.

٢- تنبيه الأخوان: عثمان بن فودي.

٣- أخبار القرون: أحمد بن أبي بكر الألوري.

٤- الإعلان بتاريخ كنو: آدم نمعج الكنوي.

٥-الاكتشاف المفيد: « « « ».

BOOK Reference

(1) History of Nigeria:

By Sir Alan Burns.

(2) History of Yorubas:

By Johnson.

(3) Geography of Nigeria:

By Quinn Young and Herdman.

(4) A History for Nigerian School:

By Quinn Young and White.

(5) Visual history of Nigeria:

By clarke.

(6) History of Abeokuta:

By Ajayi Ajisafe.

(7) ReIigion of Yorubas:

By Dr. Lucas.

●●●